عدد خاص

تحولات مشرقية

فصلية فكرية ثقافية تعنى بشؤون المشرق

العدد رقم 10 - أيار 2016

مئة عام

على سايكس-بيكو

حتى لا يتكرر التقسيم

- حافظ الزين
- مازن أبو دية
- دعاء الشريف
- نجيب نصير
- أسامة سمعان
- زهير فياض
- سامي سماحة
- الياس فرحات

بمناسبة مرور مئة سنة على اتفاقية سايكوس بيكو

ماهو مستقبل فلسطين في زمن التحولات الراهنة؟

دعاء الشريف -باحثة متخصصة بالدراسات الاسرائيلية

هناك مقولة للفيلسوف الألماني هيجل تقول: «إننا نتعلّم من التاريخ أنه يستحيل على البشر التعلّم من التاريخ».

والتاريخ هنا يعيد نفسه ويتأرجح بين شرق أوسط قديم وشرق أوسط جديد، فالآن ومع نهاية اتفاقية سايكس - بيكو والتي تمّت في الخفاء - ووضعت ملامح الحدود السياسية لغالبية دول المنطقة قبل قرابة مئة عام خلت، يتم حالياً الشروع في تنفيذ سايكس بيكو جديدة ولكن هذه المرة وهذه المرة ليست في الخفاء بل في العلن، وإن اختلفت الأدوار والأماكن في لعبة الكراسي الموسيقية الشرق أوسطية، ولكن دائماً الفائز واحد وللأسف، هذا الفائز متربص ويقظ منذ مئات السنوات يُعدّ الخطط والمؤامرات ويحيكها سواء من على بُعد أو من قلب الحديث مرتدياً أقنعة كثيرة قناَع المنبوذ.. قناع العدو.. قناع الصداقة.. قناع السلام، ومؤخراً قناع العنصرية..

إنه فائز واحد.. لاعب واحد مهما اختلف مساندوه (بريطانيا، أميركا)، أو لاعبوه (الحكومة - جيش الاحتلال — الموساد — الدبلوماسيون — الإعلام). إنه عدو واحد وهو إسرائيل..

فتارة يكون الفاعل وتارة أخرى يكون المفعول من أجله، أما الملعب أو المفعول به فهو الشرق الأوسط.

فمن رحم الاستعمار الأوروبي ولد الاستيطان الإسرائيلي، اما الهدف فهو احتلال وتطهير عرقي متعمد لأرض فلسطين.. تشريد الآلاف.. تقسيم الشرق الأوسط واتفاقية سايكس بيكو.. مخططات لتقسيم الشرق الأوسط على الورق وعلى أرض الواقع في السر وفي العلن.. ابتداع مصطلح شرق أوسط جديد بحجة السلام.. حتى عندما ظهر وجه جديد للصراع في الشرق الأوسط والمسمّى بحرب أنابيب الغاز..

في كل الاضطرابات والكوارث التي تجتاح منطقة الشرق الأوسط فتش دائماً عن إسرائيل؛

فمن اليمن إلى منطقة حوض النيل تمتدّ الأصابع الإسرائيلية لسكب مزيد من الزيت على النيران لتصبح هي الفائز الوحيد من كل ما يجرى في منطقة الشرق الأوسط[1].

فحالياً، هناك اتفاق دولي أمني وإقليمي لبناء الوجه الجديد للمنطقة – مثلما حدث تماماً في سايكس بيكو الأولى – مع المصالح النفطية للشركات متعددة الجنسيات وخاصة الأميركية في الفترة الراهنة.

النمط إذاً حديث، أو هكذا يبدو على السطح، وهو على الأقل متطور سريع التغيير. ولكن تحت الجلد هل هو منفصل حقاً عما سبقه من تاريخ؟

إن الذي يستقرئ مراحل التاريخ السياسي والاستراتيجي المتعاقبة يجبه دائماً أو غالباً بنمط ثلاثي متواتر لصراع القوى قد يختلف عن النمط المعاصر في التفاصيل والظلال والأبعاد، ولكن لعله لا يختلف عنه كثيراً في أساسياته وجوهره، الشرق الأوسط الجديد أو سايكس بيكو الثانية والذي تبدو حديثة العهد هي الأخرى ظاهرة قديمة لها اصول تاريخية بعيدة بدرجة أو بأخرى.

والجدير بالذكر هنا أن استراتيجية سايكس بيكو الثانية غير المعلنة والخبيثة هي استراتيجية «جيوسياسية»[2] تقوم على حرب أنابيب الغاز، وتعتبر بمثابة الوجه الآخر للصراع في الشرق الأوسط، وتخضع إعادة ترسيم الشرق الأوسط لأهداف اقتصادية واستراتيجية وعسكرية واسعة النطاق، والتي هي جزء من برنامج طويل الأمد للسياسة الأنجلو-أميركية والإسرائيلية في المنطقة. فقد تمّ تحويل الشرق الأوسط من قبل قوى خارجية إلى قنبلة موقوتة قد تنفجر في حالة شن هجمات جوية أنجلو-أميركية أو إسرائيلية ضد إيران وسوريا. كما يمكن أن يؤدي قيام حرب أوسع نطاقاً في الشرق الأوسط إلى إعادة ترسيم الحدود بما يخدم المصالح الاستراتيجية الأنجلو أميركية والإسرائيلية.

إن التحليل الدقيق للنظام الإقليمي الشرق أوسطي المطروح يبيّن بجلاء الدور الإسرائيلي فيه، والمصالح الكبرى التي تجنيها "إسرائيل" منه لحل جميع أزماتها المستعصية الاقتصادية والأمنية والسياسية والاجتماعية.

إن الصراع على ثروات وهوية المنطقة والمخططات الأميركية والإسرائيلية هي حجر الزاوية وجوهر صياغة النظام الإقليمي الجديد في المنطقة. فهذا الصراع الذي يعيشه عالم اليوم، هذا الصراع الذي يتمزّق بين كتل العقائديات المتناقضة، وثورات الربيع العربي ورواجع الماضي المتربّصة، ما نمطه الإقليمي؟ وما هي أصوله التاريخية؟ وهذه التطورات العميقة التي

يشهدها توزيع القوى والأوزان السياسية بين الدول والكتل والقارات والانقلابات الكاملة في استراتيجية الاستعمار والسيطرة، هل هي تحولات أو تحويرات للماضي بدرجة ما؟ أم هي طفرات وليدة الظروف والأحداث في تاريخ البشرية؟

ولمعرفة ذلك بطريقة علمية كان لزاماً علينا وبعد مرور مئة عام على وضع مخطط سايكس بيكو الاولى أن نعود بالتاريخ لأكثر من مئة عام لنفهم ونعرف كيف سيولد الشرق الأوسط الجديد من رحم الشرق الأوسط القديم؛ فتاريخ كل أمة خط متصل، وقد يصعد الخط أو يهبط، وقد يدور حول نفسه أو ينحني، ولكنه لا ينقطع[3].

فالبعد التاريخي لهذا الصراع والذي بدأ مع الاستعمار الأوروبي يعتبر مدخلاً هاماً للدراسات العلمية الجادة العميقة لواقعنا السياسي والاستراتيجي المعاصر.

قوى الاستعمار وترسيم خرائط الشرق الأوسط

«ليس كل صراع بين القوى هو من أجل الاستعمار.. ولكن كل استعمار هو صراع من أجل القوة» [4]

الاستعمار هو مصطلح يشير إلى ظاهرة سياسية، اجتماعية وثقافية تشمل إقامة مستوطنات أوروبية خارج أوروبا منذ القرن الـ15 واستيلاء الدول الأوروبية سياسياً واقتصادياً على مناطق واسعة في جميع القارات الأخرى، بما في ذلك إخضاع الشعوب القاطنة فيها لحكم الدول الأوروبية واستغلال كنوزها الطبيعية وعمل السكان المحليين لمصلحة الدول الأوروبية. انتهى الاستعمار تدريجياً خلال النصف الآخر من القرن الـ20، ولكنه يعتبر من أكثر الظواهر السياسية تأثيراً على صورة العالم المعاصر.

أدّت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى حاجة الدول الأوروبية إلى المواد الخام التي اعتمدت عليها الصناعات الجديدة.

ولسدّ حاجة مصانع الدول كافة من المواد الخام، اندفعت الدول الأوروبية تبحث عن هذه المواد في أرجاء العالم (كالقطن من مصر، والماس والذهب من جنوب أفريقيا والأراضي الزراعية في الشمال الإفريقي، ولذلك عندما بدأ أباطرة الاستعمار الأوروبي يضعون الخطط لتقاسم مناطق النفوذ في آسيا وإفريقيا خططوا لتفكيك هذه البلدان وإعادة تركيبها جغرافياً لإضعافها وتسهيل السيطرة عليها. أوجدت دول أوروبا الاستعمارية مصطلحات الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى، وذلك انطلاقاً من قرب أو بعد هذه المناطق عن

أوروبا فأطلقوا على المناطق البعيدة عن أوروبا والممتدة من الهند غرباً «بالشرق الأقصى»[5]، وعلى المناطق القريبة من شرق البحر المتوسط «الشرق الأدنى»[6] وأصبحت المنطقة التي تتوسط الشرقَين الأقصى والأدنى تسمّى الشرق الأوسط.

الشرق الأوسط:

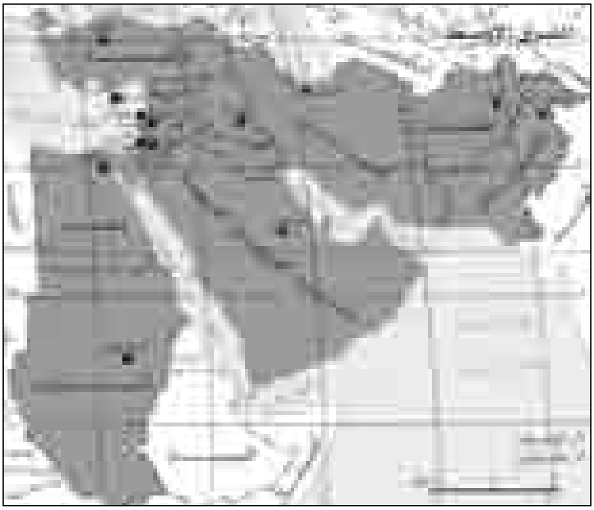

خريطة الشرق الأقصى بالموسوعة العربية المجلد الحادي عشر ص. 649

قد يكون هذا المصطلح تمّ صكّه في عقد 1850 في مكتب الهند البريطاني، ثم أصبح أكثر استعمالاً عندما استخدمه الاستراتيجي البحري الأميركي «ألفريد ثاير ماهان»[7]. أثناء ذلك الوقت، كانت الإمبراطوريتان البريطانية والروسية تتصارعان على النفوذ في وسط آسيا، ذلك التنافس الذي صار معروفاً باسم اللعبة الكبرى. استوعب ماهان ليس فقط الأهمية الاستراتيجية للمنطقة، بل أيضاً أن مركزها هو الخليج العربي. فقد أطلق على المنطقة المحيطة بالخليج العربي اسم «الشرق الأوسط»، وقد قال إنها بعد قناة السويس، هي أهم ممر يجب أن تسيطر عليه بريطانيا لتمنع الروس من التقدم نحو الهند[8]..

الاستعمار الأوروبي للشرق الأوسط «الإمبراطورية العثمانية»[9]

وصل عدد الولايات العثمانية إلى 29 ولاية، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءاً فعلياً من الدولة مع مرور الزمن، واستمرت قائمة لما يقرب من 600 سنة، وبالتحديد منذ حوالي 27 يوليو سنة 1299م

حتى 29 أكتوبر سنة 1923م.

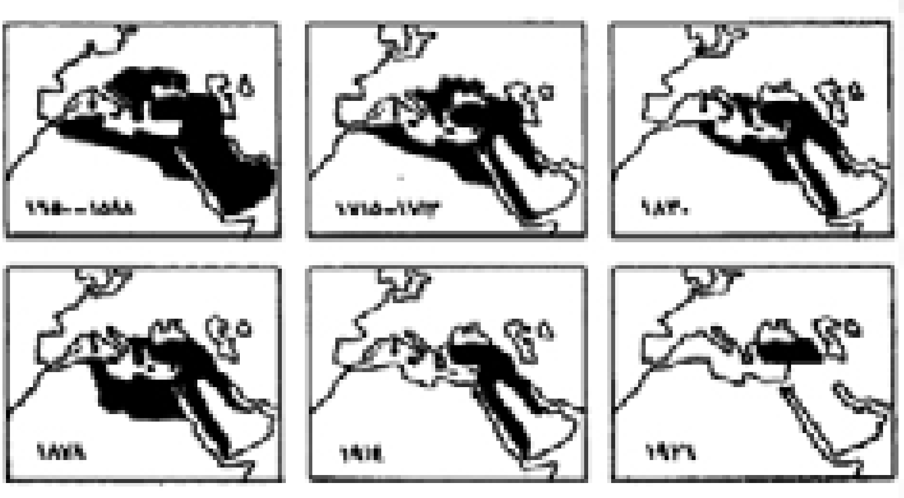

مراحل انكماش الاستعمار العثماني[10]

يمكن القول إن السيطرة الاستعمارية على العالم العربي كانت بطيئة جداً حيث إنها لم تكتمل إلا في خلال حوالي تسعين عاماً، اي في الفترة من 1830 إلى 1920، وعلى ثلاث مراحل:

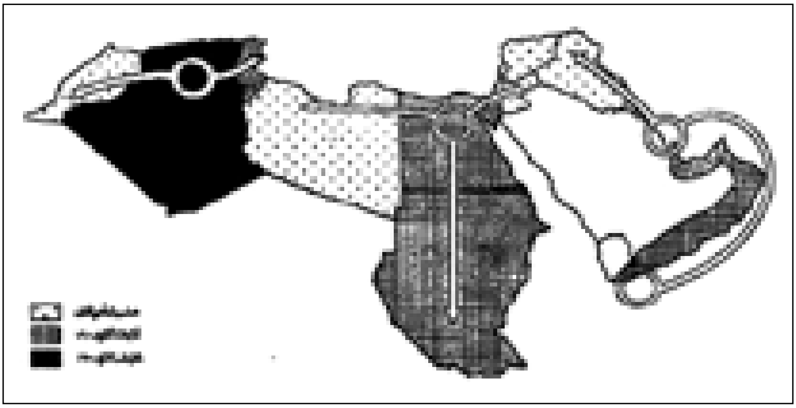

موجات الاستعمار في العالم العربي[11]

الموجة الأولى: ثلاثينيات القرن التاسع عشر حيث وقعت الجزائر تحت قبضة الاستعمار الفرنسي عام 1830، وعدن تحت سيطرة الاستعمار البريطاني عام 1839. ثم تم زحف

الاستعمار البريطاني من عدن على طول الساحل الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية حتى تمت له السيطرة عليها حتى الكويت شمالاً قبل نهاية القرن.

الموجة الثانية: مرحلة ثمانينيات القرن التاسع عشر، حيث مدت فرنسا نفوذها من الجزائر شرقا إلى تونس عام 1881. واحتلت بريطانيا مصر عام 1882م. ومن مصر توسعت بريطانيا نحو السودان تحت ستار استرداد السودان للتبعية التركية عام 1898 وتحت ستار اتفاقية الحكم الثنائي لعام 1899.

الموجة الثالثة والأخيرة: في العقد الثاني من القرن العشرين قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها حيث بدأت ايطاليا باقتطاع ليبيا من الدولة العثمانية في 1911 – 1912.

وفي الوقت نفسه بدأت فرنسا تتوسع من الجزائر غرباً نحو المغرب الأقصى لتنفرد بها من بين مناورات القوى المختلفة، وتم لها هذا خلال الحرب حتى 1914.

أما المشرق العربي فقد كانت هذا الموجة أخطر فترة في تاريخه فقد سقط أغلبه — الهلال الخصيب – للاستعمار دفعة واحدة، وذلك كجزء من مساومات لا صلح فاستولت فرنسا على سوريا ولبنان، وبريطانيا على فلسطين والأردن والعراق. وفي هذه الفترة برز استخدام مصطلح الشرق الأوسط لدى الحركة الصهيونية تمهيداً لبدء استعمار آخر جديد.

الاستعمار الصهيوني وبروز مصطلح الشرق الأوسط

تعاصرت بدايات الحركة الصهيونية مع آخر موجة كبرى من موجات الاستعمار الأوروبي الحديث وخاصة التكالب على افريقيا، فلقد تعلّقت الصهيونية بأذيال الموجة المدارية لتركبها ولتستثمر المناخ السياسي الاستعماري العام وصولاً إلى تحقيق أهدافها الخاصة في إنشاء الدولة اليهودية. والصهيونية من بدايتها حركة سياسية، ولكنها تقنعت منذ اللحظة الاولى بالدين لتخلق من «رؤيا العودة إلى أرض الميعاد» ايديولوجية تاريخية ودينية تجمع يهود الشتات حولها. وكذلك قناعاً وشعاراً تخفي به حقيقة أهدافها عن العالم الخارجي. ولهذا رفضت اقتراحات عدة لوطن قومي في غير فلسطين.

ولقد كان من المستحيل منذ البداية أن يتحقق الحلم إلا بالمساعدة الكاملة من قوى السيادة العالمية. ومن هنا التقت الإمبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخياً على طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة: فيكون الوطن اليهودي قاعده تابعة وحليفاً مضموناً أبداً يخدم مصالح الاستعمار، وذلك ثمناً لخلقه إياه وضمانه لبقائه، وعلى طريق هذه المصلحة الاستعمارية

المشتركة تحرك ارتباط الصهيونية بالإمبريالية، بحيث تحرك مركز الثقل في زعامة الإمبريالية، فكانت بريطانيا هي التي خلقت الوطن القومي لليهود منذ الحرب العالمية الأولى، بينما خلقت الولايات المتحدة الأميركية الدولة اليهودية منذ الحرب العالمية الثانية. وقد مرّ تكوين إسرائيل في الشرق الأوسط بعده بمراحل أهمها:

دعوات الاستيطان الأولى لفلسطين

كانت فلسطين تُعرف قديماً بأرض «كنعان»، نسبة إلى العرب الكنعانيين الذين عاشوا بها مع بعض القبائل الأخرى منذ سنة 2500 قبل الميلاد، استطاعت فلسطين أن تحافظ على عروبتها رغم الغزوات العدوانية التي جاءت عبر التاريخ، وعندما جاء العرب المسلمون حرّروها من الرومان، وازدهرت في فلسطين الحضارة العربية الإسلامية الخالدة.

ظلت فلسطين جزءاً عزيزاً من الوطن العربي الكبير، إلى أن اتفق الاستعمار مع الصهيونية العالمية على اختيار أرض فلسطين دون غيرها لتكون الوطن القومي لليهود، والسبب في ذلك يرجع إلى موقع فلسطين الاستراتيجي فهي تقع بين صحراء سيناء ومشارق الشام، وتعتبر قلب الأمة العربية بحكم موقعها المتوسط بين دول المنطقة. كما أنها تقع عند ملتقى القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) هذا بالإضافة إلى إشرافها على البحرين المتوسط والأحمر.

بدأت فكرة الاستيطان في فلسطين، تلوح في الأفق، بعد ظهور حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوثر في أوروبا، حيث بدأ أصحاب المذهب البروتستانتي الجديد ترويج فكرة تقضي بأن اليهود ليسوا جزءاً من النسيج الحضاري الغربي، لهم ما لهم من الحقوق وعليهم ما عليهم من الواجبات، وإنما هم شعب الله المختار، وطنهم المقدس فلسطين، يجب أن يعودوا إليه[12]، وكانت أولى الدعوات لتحقيق هذه الفكرة ما قام به التاجر الدنماركي "أوليغر بولي" Oliger poulli عام 1695، الذي أعدّ خطة لتوطين اليهود في فلسطين، وقام بتسليمها إلى ملوك أوروبا في ذلك الوقت[13].

وتُعدّ حملة «نابليون بونابرت» (1769م - 1821م) على مصر وبلاد الشام بداية الصراع الاستعماري الأوروبي لاحتلال أقطار الوطن العربي في أعقاب الثورة الصناعية في أوروبا. فقد توجّه "نابليون بونابرت" بحملته إلى بلاد الشام بعد انتصاره على المماليك ودخوله القاهرة في 21 تموز/ يوليو 1798، واقتصرت حملة "نابليون بونابرت" على فلسطين، ولم تتجاوز الشريط الساحلي منها سوى منطقة الناصرة - طبرية، حيث هزمت الجيش

العثماني، وبدأت الحملة باحتلال منطقة قطية على الحدود مع الشام في 23/ 12/ 1798 في سيناء ثم قلعة العريش، وبعد ثلاثة شهور أخذت الحملة بالتراجع إلى مصر بعد فشلها في احتلال عكا في 20 مايو 1799م.

وأثناء غزو "نابليون بونابرت" لمصر عام 1798م، دعا نابليون اليهود لتوطينهم في فلسطين، حيث أصدر هناك بياناً يحث فيه اليهود في آسيا وأفريقيا على مساعدته في إعادة بناء دولتهم القديمة واستعادة مجدهم التاريخي في فلسطين قائلاً:

«يا ورثة فلسطين الشرعيين، ندعوكم للمساهمة في السيطرة على بلادكم من أجل أبناء أمتكم، ولكي تصبحوا أسياد فلسطين الحقيقيين» [14]

وتعتبر دعوة "نابليون بونابرت" هي الدعوة الأولى لتوطين اليهود في أرض فلسطين، حيث إن الدعوات التي ظهرت قبل ذلك كانت بتوطين اليهود ليس في فلسطين بل في «مصر»، وأولى هذه الدعوات كانت نداء لـ«شبتاي زيفي»[15] (1626م- 1676م) دعا فيه اليهود في عام 1666م عندما ذهب إلى القسطنطينية للهجرة ليس إلى فلسطين بل إلى إقليم الوجه البحري من مصر لإقامة وطن قومي لهم.

وقد تجدّدت دعوة اليهود للهجرة إلى مصر لإقامة وطن قومي لليهود مرة أخرى، في عام 1798م. في صورة رسالة أخرى من يهودي ايطالي إلى إخوانه اليهود يدعوهم فيها للهجرة لإقامة وطن لليهود في مصر السفلى وذلك بناء على ترتيبات فرنسا.

وهناك أيضا دعوى الإنجليزي "جيمس بيشينو"[16] والتي وردت في كتابه «إرجاع اليهود» الذي نشره عام 1800م وكانت بمثابة دعوى لحكام البلاد – بريطانية - لاستغلال نفوذهم لدى الباب العالي.

بدايات التسلل إلى فلسطين

بدأت هذه المرحلة عندما استخدمت عائلة «روتشيلد» نفوذها القوي وثرواتها الطائلة في الضغط على الحكومة الإنجليزية باستغلال احتياج بريطانيا للأموال، بعد أن أوشكت على إعلان هزيمتها في الحرب العالمية أمام جيش ألمانيا وقتها، فقدّم «آل روتشيلد» القروض للمملكة المتحدة بسخاء، وكان المقابل تفعيل وعد بلفور الذي صدر عن وزير الخارجية البريطاني سنة 1917.

ومن خطابات «روتشيلد» التي تفضح هذه المؤامرة نذكر منها الخطاب الذي وجّهه البارون

روتشيلد في مارس عام 1840م إلى وزير خارجية بريطانيا آنذاك اللورد «بالمرستون»[17] قال فيه:

«إن هزيمة محمد علي وحصر نفوذه في مصر ليسا كافيين، لأن هناك قوة جذب بين العرب، وهم يدركون أن عودة مجدهم القديم مرهون بإمكانات اتصالهم واتحادهم، إننا لو نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض، فسوف نجد أن فلسطين هي الجسر الذي يوصل بين مصر وبين العرب في آسيا. وكانت فلسطين دائماً بوابة على الشرق، والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر في هذه البوابة، لتكون هذه القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربي ويحول دونه، وإن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تستطيع أن تقوم بهذا الدور، وليست تلك خدمة لليهود يعودون بها إلى أرض الميعاد مصداقاً للعهد القديم، ولكنها أيضاً خدمة للإمبراطورية البريطانية ومخططاتها، فليس مما يخدم الإمبراطورية أن تتكرّر تجربة محمد علي سواء بقيام دولة قوية في مصر أو بقيام الاتصال بين مصر والعرب الآخرين».

وفي 11 أغسطس 1840م. حاولت بريطانيا أن تردّ على محاولة محمد علي توحيد مصر وسوريا فكتب وزير الخارجية البريطاني آنذاك «بالمرستون» إلى سفيره في اسطنبول بخصوص توطين اليهود في فلسطين يطلب منه أن يقنع السلطان وحاشيته بأن الحكومة الانجليزية ترى أن الوقت أصبح مناسباً، لأن تفتح ابواب فلسطين أمام اليهود، وهذا هو نص الرسالة:

«يقوم بين اليهود الآن المبعثرين في كل أوروبا شعور قوي بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين آخذ في الاقتراب. ومن المعروف جيداً أن يهود أوروبا يمتلكون ثروات كبيرة، ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداداً كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود. فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل. وحتى إذا لم يؤدِ هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيداً لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط كهذا.»[18]

الهجرة الأولى إلى فلسطين

ارتبط أبناء فريق يهودي من الجيل الناشئ في الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر

بالحركة الثورية الروسية. وتأثروا إلى مدى عميق بالتفكير «الراديكالي»[19] للعصر. فشكل هذا الفريق حركة «الهاسكالا»[20]، واتجه فريق آخر نحو إنشاء حركة يهودية قومية، وإلى استعمار فلسطين، وسرعان ما قامت جمعيات مختلفة في أنحاء متفرقة من أوروبا وخاصة في روسيا تدعو إلى حب صهيون، وكان الهدف المشترك لهذه الجمعيات، دعم حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين عبر تشجيع الهجرة وإقامة المستعمرات. وكان لنشاط اليهود الروس من طلبة الجامعات، أثره في ظهور جماعة رواد «أحباء صهيون» – "بيلو"[21] التي عملت على تنظيم وتنشيط الهجرة إلى فلسطين على أساس قومي مستندة إلى تعاليم التوراة، وقد ارتكز برنامجها الأساسي على ثلاث نقاط: محاربة الاندماج، الشعور القومي.. استيطان فلسطين ويمكن اعتبار حركة «أحباء صهيون» أول حركة صهيونية منظمة، ذات طابع سياسي، وقد وصل عدد المستوطنات التي أسستها طلائع الهجرة الأولى إلى فلسطين، خلال السنوات 1882 – 1884 إلى ثمانية".[22] وهكذا بدأ التسلل الاستيطاني الصهيوني إلى فلسطين.

وفي عام 1885: ظهر لأول مرة مصطلح الحركة الصهيونية على يد «ناثان برنباوم» الفيلسوف اليهودي النمساوي وكان هدف الحركة هو الاستيطان في فلسطين.

عام 1896: نشر الصحافي الصهيوني «ثيودور هيرتسل» كتاب «الدولة اليهودية» باللغة الألمانية، لكن يهود اوروبا كانوا يجدون حلمهم في الهجرة إلى أميركا هذا ما جعل الطبيب «ماكس نوردو» الساعد الأيمن لهيرتسل يرسلٍ اثنين من اكبر رجال الدين اليهود إلى فلسطين، لكنهم بعد زيارة فلسطين ارسلوا جواباً من سطر واحد جاء فيه:

«العروس جميلة جداً ومستوفيه لجميع الشروط ولكنها متزوّجة فعلاً».

وفهم نوردو ان المقصود أن فلسطين ليست كما ذكر هيرتسل أرض بلا شعب وأن فيها شعباً يسكنها منذ آلاف السنين.

ومن أجل دعم جميع هذه المشاريع والمؤسسات السابقة، قام البارون روتشيلد عام 1883 بإنشاء الجمعية اليهودية للاستعمار في فلسطين المعروفة باسم بيكا [23] (Bica)، لتتولى عملية تمويل شراء الأراضي في فلسطين، وتنظيم الهجرة اليهودية إليها.

وقد أمدّ أغنياء اليهود في العالم هذه الجمعيات الصهيونية بالمال وشجعوا على زيادة الهجرة حتى بلغ عدد المستعمرات اليهودية في فلسطين حتى عام 1900 حوالي 17 مستعمرة.

بقيت الحركة الصهيونية مفتقرة إلى التنظيم والتخطيط، إلى أن تمكن «ثيودور هرتزل»[24] من

عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في 28 أغسطس 1897.

تبنى المؤتمر برنامج تأسيس وطن معترف به للشعب اليهودي في فلسطين وذلك بمشاركة ممثلي الجاليات اليهودية في العالم، وتم اتخاذ القرارات التالية:

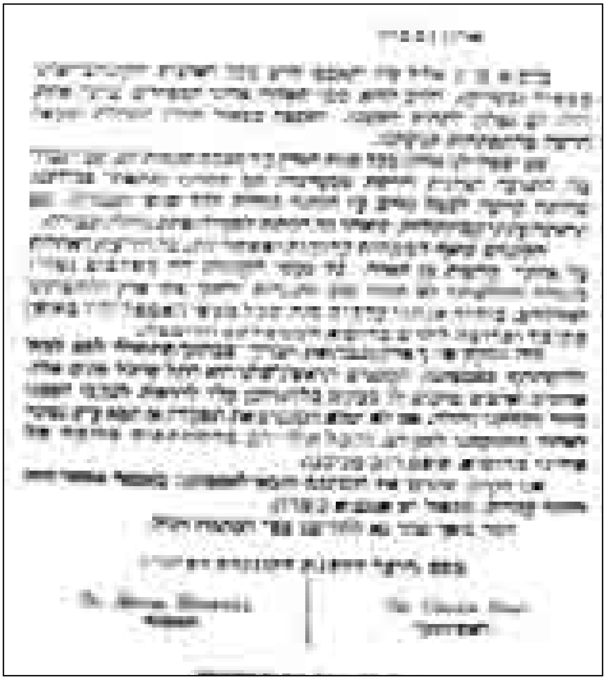

הנוסח העברי של ההזמנה לקונגרס הציוני הראשו

النسخة العبرية للمؤتمر الصهيوني الأول

■ إن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين بالوسائل التالية. تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. تنظيم اليهود وربطهم بالحركة الصهيونية. واتخاذ السبل والتدابير للحصول على تأييد دول العالم للهدف الصهيوني (الحصول على شرعية دولية).

■ تشكيل المنظمة الصهيونية العالمية بقيادة ثيودور هرتزل.

■ تشكيل الجهاز التنفيذي «الوكالة اليهودية» لتنفيذ قرارات المؤتمر ومهمتها جمع الأموال في صندوق قومي لشراء الأراضي وإرسال المهاجرين لإقامة المستعمرات لليهود في فلسطين. بعد انتهاء أعمال المؤتمر الصهيوني الأول خرج ثيودور هرتزل على الصحافيين والابتسامة العريضة تعلو شفتيه، وقال لهم لقد قررنا إنشاء الوطن القومي لليهود وقد تضحكون إذا أخبرتكم أن هذا الوطن سيتحقق خلال خمسة أعوام وعلى الأغلب خلال خمسين عاماً على الأكثر.

بداية المؤامرة البريطانية الصهيونية

ثم بدأت خيوط المؤامرة البريطانية الصهيونية السرية، وذلك عندما أكدت بريطانيا بأن مصلحتها على إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين بالذات. وقد ارتكزت المؤامرة البريطانية الصهيونية لاحتلال فلسطين وتفتيت الشرق الأوسط على محطات متتالية عدة. وهي كالتالي:

أولاً: وثيقة كمبل السرية (1907).

ثانياً: توماس إدوارد لورنس ودوره الخطير في خداع العرب (1913 - 1916)

ثالثاً: 1915 مذكرة سرية بعنوان مستقبل فلسطين

وسوف يتضح لما بعد استعراض هذه المحطات الثلاث مدى أهميتها وخطورتها وكيف أنها مهدت الطريق لاتفاقية سايكس بيكو التي ساهمت في تقسيم الشرق الأوسط وإعادة رسم الخرائط الجغرافية الخاصة به.

أولاً: وثيقة كمبل السرية

تعتبر وثيقة «هنري كامبل بنرمان» رئيس وزراء بريطانيا (1905 - 1908) من اولى الوثائق التي تحمل استراتيجية تفكيك للشرق الأوسط، مثلما ورد في وثيقة السير والمعروفة بوثيقة «كامبل السرية» والتي انبثقت عن مؤتمر عام 1907 وجاء فيها:

«بأنه من المهم إقامة حاجز قوي وغريب على الجسر الذي يربط البحر الأبيض بالبحر الأحمر».

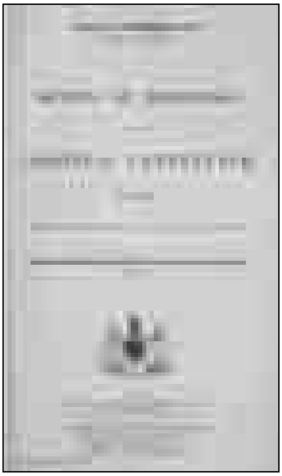

وثيقة كمبل السرية 1907

حدث هذا عندما قام حزب المحافظين البريطاني عام 1905 بتوجيه الدعوة إلى كل من فرنسا وهولندا وبلجيكا واسبانيا وإيطاليا لعقد مؤتمر يتمّ من خلاله وضع سياسة لهذه الدول الاستعمارية تجاه العالم وبالذات تجاه العالم العربي. وفي عام 1907 انبثقت وثيقة سرية عن هذا المؤتمر سمّوها «وثيقة كامبل» نسبة إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك «هنري كامبل بنرمان» تهدف إلى إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، والسيطرة على الموقع الجيواستراتيجي الهام للوطن العربي وعلى قناة السويس، ونهب ثرواته الطبيعية والحيلولة دون تطوره ودون تحقيق الوحدة العربية. وجاء في هذه الوثيقة:

«إن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار، لأنه الجسر الذي يصلِ الشرق بالغرب والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والإفريقية وملتقى طرق العالم وأيضاً هو مهد الأديان والحضارات. ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوفّر له وحدة التاريخ والدين واللسان».

وإن أبرز ما جاء في توصيات هذا المؤتمر الإبقاء على شعوب هذه المنطقة مفككة جاهلة متأخرة. وعلى هذا الأساس قاموا بتقسيم دول العالم بالنسبة اليهم إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: دول الحضارة الغربية المسيحية (دول أوروبا وأميركا الشمالية وأستراليا). الفئة الثانية: دول لا تقعِ ضمن الحضارة الغربية المسيحية، ولكن لا يوجد تصادم حضاري معها ولا تشكل تهديداً عليها (كدول أميركا الجنوبية واليابان وكوريا وغيرها).

الفئة الثالثة: دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ويوجد تصادم حضاري معها وتشكل تهديداً لتفوقها (وهي بالتحديد الدول العربية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام). والواجب تجاه هذه الدول هو حرمانها من الدعم ومن اكتساب العلوم والمعارف التقنية وعدم دعمها في هذا المجال، ومحاربة أي اتجاه من هذه الدول لامتلاك العلوم التقنية ومحاربة أي توجه وحدوي فيها.

ولتحقيق ذلك دعا المؤتمر إلى إقامة دولة في فلسطين تكون بمثابة حاجز بشري قوي وغريب ومعاد يفصل الجزء الإفريقي من هذه المنطقة عن القسم الآسيوي والذي يحول دون تحقيق وحدةً هذه الشعوب ألا وهي دولة إسرائيل واعتبار قناة السويس قوة صديقة للتدخل الأجنبي وأداة معادية لسكان المنطقة.

ويشكل هذا المؤتمر النواة الأساسية والتي انبثق عنها كل من اتفاقية "سايكس بيكو" و"وعد بلفور" ومؤتمر فرساي[25] ومؤتمر «سان ريمو»[26] و»معاهدة سيفر»[27] و»معاهدة

لوزان» [28] وبصدور قرار التقسيم 181 بتاريخ 29/ 11/ 1947 وإعلان قيام دولة إسرائيل بتاريخ 15/ 5/ 1948 وبتاريخ 11/ 5/ 1949 تبوأت إسرائيل مقعدها في الأمم المتحدة بصفتها العضو 59 في المنظمة الدولية.

كما فتحت وثيقة كمبلِ الباب على مصراعيه للحركة الصهيونية لاستخدام وتعميم مصطلح الشرق الأوسط، بديلاً للوطن الواحد والشعب الواحد والأمة الواحدة، نظراً لأنه ملتقى القارات الثلاث ويُشرف على أهم الممرات المائية كقناة السويس، ومضيق باب المندب، والخليج، وخليج العقبة ومضيق هرمز، ويختزن أكثر من ثلثي احتياطي النفط العالمي.

ثانياً: توماس إدوارد لورنس الشهير بلورانس العرب[29]

ولم يقف الاهتمام بقضية الشرق الأوسط وطريقة السيطرة عليه عند حد الكتب وإصدار القرارات بل تساعد الأمر لأخطر من ذلك هو حياكة المؤامرات من داخل الشرق الأوسط عن طريق الاستخبارات البريطانية بالتعاون مع الحركة الصهيونية. وانا هنا اتحدث عن لورانس العرب الذي استطاع بطرقه الخبيثة خداع العرب وتسبب في اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم الشرق الأوسط، وبدأت المؤامرة عندما استدعت القيادة الإنكليزية أصحاب الخبرة في البلاد العربية ومنهم لورنس الذي التحق بسلك المخابرات العسكرية، وعندما دخلت تركيا الحرب في أواخر عام 1913 عُيّن لورنس في القاهرة مشرفاً على شبكة للتجسس كان هو يختار أعضاءها بنفسه، ومن مُهماته تهيئة الخرائط العسكرية وضبط وتنظيم المعلومات الواردة التي تُؤخذ من الأسرى والفارين من الجيش العثماني وتنسيقها مع المعلومات الواردة من الجواسيس.

وكان همّ لورنس في ذلك الوقت التأثير على زعماء العرب وكسب ودّ العشائر والقبائل لدفعهم للقيام بالثورة ولو من خلال لبس لباسهم وسلك سلوكهم كي يتمكّن من أن التحكم بهم تحكم الاستعماريين بالشعوب. يقول في كتيب «البنود 27» الذي أعدّه لتعليم الضباط على طرق التحكم بالعرب:

«إذا أمكنك لبس لِباس العرب عندما تكون بين رجال القبائل فإنّك تكسب بذلك ثقتهم».

وبهذا تعلّم لغتهم وتغلغل في مجتمعاتهم وصحاريهم وسار في طرقهم وأسفارهم واختلط بقبائلهم وبدوهم، فدرسهم وكسب ثقة الأغبياء منهم وعرف نقط ضعفهم واستغلها لمصلحة بلاده.

وقد اعترف لورانس وعلى لسانه بأنه خدع العرب في كتابه الشهير (أعمدة الحكمة السبعة)، حيث قال:

«أما الشرف فقد فقدته يوم أكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودهم. لقد جازفت بخديعة العرب، لاعتقادي أن مساعدتهم ضرورية لانتصارنا القليل الثمن في الشرق، ولاعتقادي أن كسبنا للحرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار. وإني أكثر ما أكون فخوراً أن الدم الانجليزي لم يسفك في المعارك التي خضتها لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا (أي العرب)، لم تكن تساوي في نظري موت انجليزي واحد».

في تقرير سريّ كتبه لورنس عام 1916 بعنوان «سياسة مكة» أوضح فيه رأيه في ثورة العرب: «إنّ نشاط الحسين مفيد لنا إذ إنّه ينسجم مع أهدافنا الكبيرة، وهي تفكيك الرابطة الإسلامية وهزيمة الإمبراطورية العثمانية وانحلالها، لأنّ الدول التي ستنشأ لتخلف الأتراك لن تشكل أي خطر على مصالحنا... فإذا تمكّنا من التحكم بهم بصورة صحيحة، فإنهم سيبقون منقسمين سياسياً إلى دويلات تحسد بعضها البعض ولا يمكن أن تتحد».

خدع توماس العرب وعمل على تحطيم قوى الجيش العثماني ونسف القطارات المحمّلة بالذخائر، فلما انتهت المعركة وأعلن «لورد اللنبي» في القدس (1917):

«الآن انتهت الحروب الصليبية» وأعلن «غورو» في دمشق قولته: «ها نحن قد عُدنا يا صلاح الدين».

عمد لورنس إلى أعظم سرقة حين سلب من قبر صلاح الدين إكليلاً من الذهب كان قد قدّمه له الإمبراطور غليوم يوم زيارته لدمشق. ولما نجحت خطط الاستعمار البريطاني، اتجه بجهوده لإنجاح خطط الصهيونية وأقنع فيصل بالاجتماع بـ ويزمان زعيم اليهود.

كان لورنس يؤمن أن الثورة العربية هي تقطيع أوصال الدولة العثمانية وإيقاع الخلاف بين العرب والترك وفتح الطريق أمام الصهيونية إلى فلسطين.

جاء في تقرير سري لـ (لورانس العرب) بعنوان (احتلال سورية) ما يلي حرفياً:

«إن شئنا ضمان السلام في جنوب سورية، والسيطرة على جنوب بلاد ما بين النهرين وجميع المدن المقدسة، فيجب أن نحكم دمشق مباشرة».

وبعد فشل المؤتمر ونكث بريطانيا بوعودها لهم، رجع (لورانس) إلى بريطانيا وانضمّ إلى القوى الجوية باسم مستعار (روس)، وغيّر في الوقت نفسه اسمه إلى (ت.أ.شو).

ثالثاً: مذكرة سرية بعنوان مستقبل فلسطين

وفي يناير عام 1915 قدمت لمجلس الوزراء البريطاني مذكرة سرية بعنوان مستقبل فلسطين، كتبها أول صهيوني يهودي يصل إلى منصب وزير بريطاني «هيربرت صموئيل» — وكانت المذكرة السرية على فلسطين بعد مناقشات مع وايزمان ولويد جورج. وكانت تحتوي على حجج لصالح الجمع بين الضم البريطاني لفلسطين مع الدعم البريطاني للتطلعات الصهيونية. ويعتبر صموئيل هو الذي خلق إسرائيل قانونياً فلقد وضع حوالي 100 قانون لتسريب الأراضي العربية لأيادي اليهود - جاء في الوثيقة:

«الوقت الحاضر ليس مناسباً لإنشاء دولة يهودية.. والمأمول أن يمنح الحكم البريطاني تسهيلات للمنظمات اليهودية في شراء الأراضي وإقامة المستعمرات وإنشاء المؤسسات الدينية والتربوية، والتعاون في التطور الاقتصادي للبلاد، وأن تعطى الهجرة اليهودية، بعد ضبطها بعناية فائقة، الأفضلية حتى يتمكن السكان اليهود من مرور الوقت من أن يصبحوا أكثرية مستوطنة في البلاد وبذلك ينالون مقداراً من الحكم الذاتي وفقاً لما تتيحه الظروف القائمة في ما بعد». (30)

اتفاقية سايكس بيكو 1916

خريطة اتفاق سايكس بيكو كانت سرية ومغلقة في رسالة بولس كامبون إلى السير إدوارد غراي، 9 مايو 1916..

كانت تفاهماً سرياً بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الإمبراطورية العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى. تم الوصول إلى هذه الاتفاقية بين نوفمبر من عام 1915 ومايو من عام 1916 بمفاوضات سرية بين الدبلوماسي الفرنسي «فرانسوا جورج بيكو" والبريطاني "مارك سايكس»، وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك.

ولقد تمّ تقسيم منطقة الهلال الخصيب بموجب الاتفاق، وحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (سوريا ولبنان) ومنطقة الموصل في العراق. أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعاً بالاتجاه شرقاً لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية في سوريا. كما تقرر أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا ميناءي حيفا وعكا على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الاسكندرونة الذي كان سيقع في حوزتها.

وقد تقرّر ترك فلسطين ككونفدرالية دولية (منطقة دولية) انتظاراً لقرار روسيا وشريف مكة حسين بن علي والذي كان بدوره وصل لتفاهم مع السير «مكماهون» المفوض الإنجليزي في تلك الفترة حول الأراضي العربية تحت الاحتلال العثماني، والتي أصبحت الآن تابعة لهم فيما يُسمّى بتفاهم الحسين – مكماهون Hussein-McMahon Correspondence

حيث وعد مكماهون، حسين بن علي باعتراف بريطانيا بآسيا العربية كاملة دولة عربية مستقلة، إذا شارك العرب في الحرب ضد الدولة العثمانية. وهذا ما تم خلال الثورة العربية الكبرى. رأى القوميون العرب وعود مكماهون في رسائله على أنها عهد بالاستقلال الفوري للعرب.

نص المنشور الذي ألقته الطائرات البريطانية وموجه من الشريف حسين إلى الجنود والضباط العرب في الجيش التركي في فلسطين سنة 1915

كما وعد «مكماهون» شريف مكة بالاعتراف بالأراضي العربية التي كانت تحت الاحتلال العثماني والإعلان عن استقلالها. لكن هذه الوعود تم خرقها بتقسيم فرنسا وبريطانيا للمنطقة باتفاقية سايكس بيكو السرية في مايو 1916 (والتي كشف عنها عام 1917 مع وصول الشيوعيين إلى الحكم في روسيا)، والتي تنص على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الدولة العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى.

وقد تمّ الكشف عن اتفاق سايكس بيكو بوصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا عام 1917، مما أثار الشعوب التي تمسها الاتفاقية وأحرج فرنسا وبريطانيا وكانت ردة الفعل الشعبية – الرسمية العربية المباشرة قد ظهرت في مراسلات حسين ـــ مكماهون[31].

وفي 11-2 - 1917 وافق مجلس الوزراء البريطاني برئاسة ديفيد لويد جورج على إصدار وعد بريطاني على إنشاء وطن قوميّ لليهود في فلسطين[32]. كتب الوعد على صورة رسالة

وزير الخارجية آرثر بلفور إلى الوزير الصهيوني ليون روتشيلد

كما أعلنت من خلاله نيّتها بذل كلّ الجهد اللازم من أجل تسهيل تحقيق هذه الغاية. كان هذا التصريح إطاراً مهمّاً أسْهَمَ في تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، وفي دعم مساعي الحركة الصهيونيّة المتلاحقة في سبيل تأسيس مؤسّساتها السياسيّة والاجتماعيّة وخلق نواة الدولة اليهوديّة.

أول محاولة أميركية لرسم خريطة الثرق الأوسط

وثيقة هنري كينج وتشارلز كرين

مع انتهاء الحرب العالمية الأولى واثناء الإعداد لمؤتمر السلام في باريس ارسل الرئيس الأميركي ويلسون لجنة برئاسة الاكاديمي «هنري كينج « والسياسي «تشارلز كرين» إلى الشرق الأوسط لدراسة الوضع.

بعد ثلاثة أسابيع زار فيها المبعوثان 36 مدينة، والتقيا القيادات المحلية والدينية في سوريا ولبنان وفلسطين وجنوب تركيا، اقترح فريقهما أن تنقسم الأراضي وفقاً لهذه الخريطة:

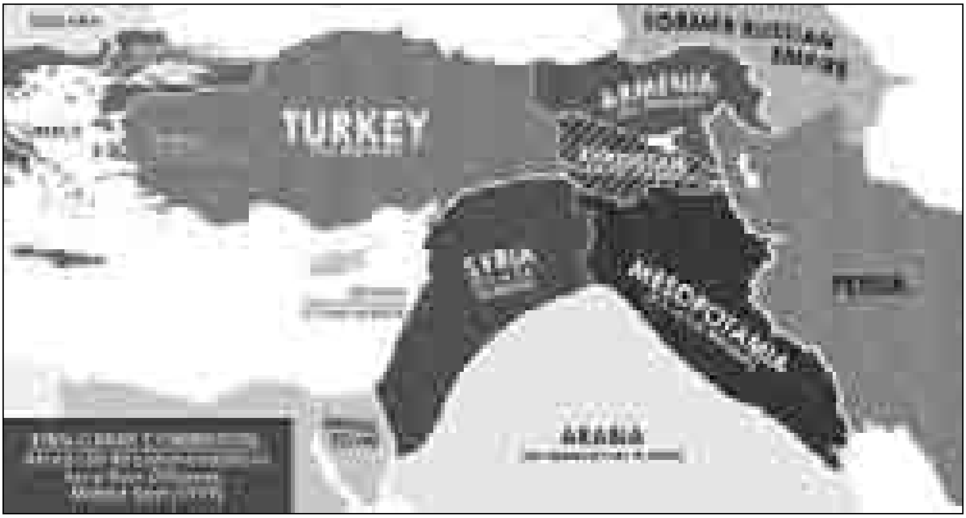

خرطة كينج لتقسيم الشرق الأوسط عام 1919

وواصلت اللجنة جولتها في المدن والقرى الفلسطينية حيث تعرفت على مواقف مختلف الأطراف، ثم سافرت إلى دمشق وأجرت فيها استفتاء شمل العلماء وممثلي الطوائف والحرف

وممثلي مجلس الشورى وغيرهم، وتسلَّمت مذكرة من المؤتمر السوري العام تضمَّنت المطالب العربية الأساسية، كما انتقلت اللجنة إلى شرق الأردن وبيروت واطلعت على آراء السكان هناك. ثم توجَّهت بعد ذلك إلى الآستانة، حيث عكفت على دراسة المذكرات والوثائق التي تلقتها وبلغت 1863 مذكرة، وانتهت من وضع تقريرها في أغسطس 1919.

EDITOR & PUBLISHER

First Publication of

KING-CRANE REPORT ON THE NEAR EAST

نشر أول تقرير في مجلة "المحرر والناشر" في ديسمبر كانون الأول عام 1922. وقد وصفت الجريدة الوثيقة باعتباره «وثيقة قمع رسمية من حكومة الولايات المتحدة». وبالرغم من أن الوثيقة كانت في عام 1919 الا انها لم تنشر حتى عام 1922 وقام بكتابتها «هنري تشرشل كينغ وتشارلز كرين» ولم يُنشَر تقرير لجنة كينج رسمياً كاملاً إلا عام 1947.

قدما تقريراً جاء في توصياته:

«إذا أردنا تطبيق مبادئ العدالة الأميركية فإن أماني الشعب الفلسطيني هي التي يجب ان تقرر مستقبل فلسطين. إن تسع اعشار السكان في فلسطين يعارضون برنامج الصهيونية وهذا الشعور عام في جميع سوريا. لقد اكد كل مسؤول بريطاني ان برنامج الصهيونية لا يمكن تنفيذه إلا بقوة السلاح وأن هناك حاجة عن ما لا يقل عن 50 الف جندي للبدء في تنفيذ هذه البرنامج. ولذلك نوصي بالتالي عن فكرة جعل فلسطين كومنويلث يهودي».

وكانت أهم توصيات اللجنة:

1 ـ ضرورة تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين والعدول نهائياً عن الخطة الرامية إلى جعلها دولة يهودية.

2 ـ ضم فلسطين إلى دولة سوريا المتحدة لتكون قسماً منها.

3 ـ وضع الأماكن المقدَّسة في فلسطين تحت إدارة لجنة دولية تشرف عليها الدولة المنتدبة وعصبة الأمم، ويمثِّل اليهود فيها بعضو واحد.

وقد قوبل تقرير اللجنة بالرفض التام من جانب فرنسا وبريطانيا والحركة الصهيونية. أما الولايات المتحدة ـ التي كان رئيسها صاحب فكرة إرسال اللجنة ـ فلم تُعر انتباهاً هي الأخرى لتوصيات اللجنة، رغم ما نص عليه تقريرها من أن المشروع الصهيوني يناقض مبدأ الرئيس ويلسون بشأن حرية الشعوب في تقرير مصيرها. وإذا وضعنا في الاعتبار أن ويلسون نفسه كان قد وافق على تصريح بلفور قبل إعلانه، فستتضح على الفور حقيقة الموقف الأميركي وحقيقة أن تلك المبادئ لم تكن في الواقع إلا ستاراً للمصالح الاستعمارية.

أما بالنسبة لبريطانيا ففي عام 1920، عيّنت اول حاكم بريطاني لفلسطين ووقع اختيار الحكومة البريطانية لمنصب المندوب السامي البريطاني على اليهودي الصهيوني «هربرت صموئيل». وقد جاء صموئيل ليطبق ما اقترحه منذ خمسة اعوام وهو تهيئة فلسطين لتكون دولة يهودية، حيث كانت المادة الثانية من بنود صك الانتداب البريطاني الذي صادقت عليه عصبة الأمم تنص على:

أولا: «تكليف بريطانيا بوضع البلاد في حالة سياسية وإدارية واقتصادية تسمح بإنشاء الوطن القومي اليهودي ومنذ اليوم الاول اعتبر صموئيل اللغة العبرية هي اللغة الرسمية بجانب العربية والانجليزية وأضاف إلى كلمة فلسطين بالعبرية א״י كرمز لكلمتي ״ايرتس يسرائيل״ اي ״أرض إسرائيل״ .

ثانياً: سمح لليهود بأن يكون لهم نظام تعليم منفصل عن نظام حكومة فلسطين وبنوا ايضاً نواة وزارة الطاقة وايضاً وزارة الأشغال ووزارة المياه.

واهم ما عمله الانجليز لليهود هو أن سمحوا لهم بأن يكون لهم جيش منفصل عام 1920.

فقد حمت بريطانيا الوكالة اليهودية والتي كانت بمثابة الحكومة اليهودية وقت الانتداب وأعطوها كل المساعدات المادية وساعدوا على إخفاء نفسها فهي مهارة صهيونية مؤامرة

بريطانية وبساطة عربية فلسطينية.

في عام 1921 ومع التحيز البريطاني لليهود وازدياد عدد الفلاحين المطرودين من الاراضي الزراعية بدأت مجموعات من الثوار في الظهور في المناطق الريفية، ونظمت مظاهرات حاشدة ضد الصهاينة. وفي عام 1933 تصاعدت المظاهرات والاحتجاجات الشعبية في فلسطين ولكن السلطات البريطانية قمعتها.

أدرك بعض الصهيونيين من ذوي الثقافة «الليبرالية»[33] أن تحقيق الهدف الصهيوني بإقامة وطن في فلسطين؛ سيكون باعثاً على خلق سلسلة طويلة من أحداث الصراع الدموي بين العرب واليهود، وكان من الأفضل بالنسبة لهم أن يعيش العرب واليهود في سلام دائم على أرض فلسطين، لذلك بدأت المساعي الصهيونية للاتفاق مع العرب في أواخر القرن الماضي (العشرين)، ولم تتمخض الاتصالات الصهيونية العربية في تلك الفترة السابقة على نشوب "الثورة الفلسطينية الكبرى"[34]عن أي اتفاق، كما أفادت الوكالة اليهودية المندوب السامي البريطاني – سير آرثر واكهوب منذ أغسطس عام 1933 بمعارضتها لأي إصلاح دستوري في سبيل إقامة حكم ذاتي في البلاد، وبالتالي رفض فكرة إنشاء مجلس تشريعي في فلسطين التي طالب العرب بتنفيذها.

وطرحت على الساحة الصهيونية وقتئذ فكرة النقل السكاني كبديل لفكرة إقامة الدولة ثنائية القومية في فلسطين، وفي عام 1937 أقرت لجنة بيل مبدأ ترحيل الفلسطينيين من اراضيهم عند الضرورة، وفي عام 1938 سمحت بريطانيا لليهود بحمل السلاح للدفاع عن النفس بحجة انهم اقلية. وكانت نتيجة هذا الاقتراح مبدأ من أهم اسس المشروع الصهيوني ان الغاية تبرر الوسيلة، انه في عام 1940 وصلت ميناء حيفا السفينة الفرنسية «باتريا» وعلى متنها قرابه الـ 1800 مهاجر يهودي غير قانوني فقررت الحركة الصهيونية تفجير جانب من السفينة لإجبار الجانب البريطاني على إدخال المهاجرين غير الشرعيين حيث قتل في العملية 240 يهودياً.

بداية المؤامرة الأميركية الصهيونية

أدرك اليهود تغير الموازين الدولية.. فنقلوا مركز ثقلهم إلى أميركا وعقدوا مؤتمرهم الصهيوني في نيويورك بتاريخ 9 مايو 1942 وهو المؤتمر الذي صار يعرف باسم مؤتمر بلتيمور.

وثيقة بلتمور

برنامج بيلتمور هو برنامج من قبل مؤتمر قادة اعتمدت الصهيونية، الذي اختير فندق بلتيمور في نيويورك، الذي عقد في مايو عام 1942. المؤتمر من قبل رئيس المنظمة الصهيونية الأميركية، أبا هيلل سيلفر، بالتعاون مع الرئيس من منظمة الصهيونية العالمية، حاييم وايزمان، ورئيس الوكالة اليهودية، ديفيد بن غوريون.

وإذا كان وعد بلفور يمثل قاعدة انطلاق اليهود في تحقيق أحلامهم مع بريطانيا، فإن مؤتمر بلتيمور مثل فرصة لتثبيت دعائم دولة اليهود في فلسطين. ولقد انتزعوا تصريحاً رسمياً (بهذه المطالب) من فرانلكين روزفلت رئيس الجمهورية الأميركية بتاريخ 16 مارس 1944م.

وكانت أهم قرارات هذا المؤتمر الذي لعب فيه بن غوريون دوراً حاسماً هي:

- تهجير اليهود إلى فلسطين لتحقيق الأكثرية.
- رفض الكتاب الأبيض وتحقيق وعد بلفور وصك الانتداب بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين.
- إنشاء جيش يهودي، تعترف به الدولة.

■ الإسراع في إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين، وحدّدوا حدودها كما يلي:

(تمتد حدود الدولة اليهودية المزمع إنشاؤها من ميناء صيدا شمالاً إلى العريش جنوباً على ساحل البحر الأبيض، إلى ميناء العقبة وخليجها على البحر الأحمر. وليس نهر الأردن حداً للدولة اليهودية بل هو عمودها الفقري، فهي تمتد إلى ما وراءه بحيث تضم المقاطعة المعروفة بشرق الأردن، وحتى الجبال المشرفة على باديتي الشام والحجاز. إن المناطق المتاخمة لهذه الحدود، يجب أن تدخل في أي حال من الأحوال في دائرة نفوذ الدولة اليهودية بعد إنشائها وتثبيت دعائمها بحيث تبسط نفوذها اقتصادياً وسياسياً على بيداء الشام حتى نهر الفرات شمالا وشرقا، وحتى أطراف سيناء وجبل السويس جنوباً. فهذه المناطق هي المجال الحيوي الذي لا بد منه للدولة اليهودية المقبلة).

وبعد بلتيمور أصدرت الحركة الصهيونية منشوراً باسم الجمعية العسكرية اليهودية تعلن فيه فتح أبواب فلسطين لليهود، كما تعلن أن غاية اليهود هي إنشاء مملكة اليهود الكبرى في وطنهم التاريخي وإجبار بريطانيا على التخلي والرحيل عن فلسطين، وقرنت القول بالفعل:

فقد نسفوا وفي وقت واحد دائرة الهجرة في كل من القدس وتل أبيب وحيفا في 12 فبراير 1944.

■ ونسفوا دائرة الأراضي وهاجموا دوائر البوليس، واغتالوا عدداً من الضباط البريطانيين.

■ وفي 6 نوفمبر 1944 قتلوا اللورد موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة.

ولم يوقف اليهود مقاومتهم للاحتلال البريطاني إلا بعد صدور قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947.

قرار التقسيم

في نوفمبر 1947 بلغ عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة 57 دولة فقط. ما زالت الدول المهزومة في الحرب العالمية الثانية - ألمانيا، اليابان وحلفائها - خاضعة لسلطات الاحتلال أو ممنوعة من الانضمام إلى المنظمة الدولية. أما أغلبية دول القارة الإفريقية وآسيا الجنوبية الشرقية فما زالت خاضعة للسلطات الاستعمارية ولم تكن مستقلة. وشارك في التصويت 56 دولة، أي جميع الدول الأعضاء باستثناء دولة واحدة هي مملكة سيام (تايلند حاليا). وافقت الدول العظمى في ذلك الحين - الاتحاد السوفياتي، الولايات المتحدة وفرنسا - على خطة التقسيم، باستثناء بريطانيا التي دارت سلطة الانتداب والتي فضلت الامتناع. ومن بين

الدول المعارضة للخطة كانت جميع الدول العربية والإسلامية وكذلك اليونان، الهند وكوبا.

بذل زعماء الحركة الصهيونية جهوداً كبيرة لإقناع الدول المترددة، واستعانوا بالديبلوماسيين الداعمين للخطة داخل الأمم المتحدة من أجل تأجيل التصويت من الـ 26 إلى الـ 29 من نوفمبر، مما أعطاهم الفرصة لإقناع ليبريا، الفيليبين وهايتي بالتصويت مع مؤيدي الخطة، وتأمين دعم ثلثين من الدول الأعضاء، وهي النسبة التي كانت لازمة لإقرار خطة التقسيم. حاولت الدول العربية منع هذا التأجيل فتنازل مندوبوها عن إلقاء خطاباتهم توفيراً للوقت، ولكن البعثة الأميركية المؤيدة لخطة التقسيم أصرت على تأجيل جلسة التصويت إلى ما بعد عيد الشكر الأميركي الذي حل في ذلك العام في 27 نوفمبر.

مع أن الخارجية الأميركية قررت عدم ممارسة الضغوط على دول للزيادة من الدعم، مارس بعض السياسيين ورجال الأعمال الأميركيين الضغوط على الدول المترددة التي كانت متعلقة اقتصادياً بالولايات المتحدة.

ليبريا:

فالذي ضغط على ليبريا مثلاً كان المليونير الأميركي المشهور هارفي صمويل فايرستون Harvey Samuel Firestone صاحب مزارع المطاط في ليبريا وصاحب مصانع الإطارات المشهورة فايرستون Firestone.

في مساء 29 نوفمبر جرى التصويت فكان ثلاثة وثلاثون صوتاً إلى جانب التقسيم، وثلاثة عشر صوتاً ضدّه وامتنعت عشر دول عن التصويت، وغابت دولة واحدة، وكانت الدول الـ33 التي وافقت على القرار هي: أستراليا، استراليا بلجيكا، بوليفيا، البرازيل، بيلوروسيا، كندا، كوستاريكا، تشيكوسلوفاكيا، الدنمارك، الدومينيكان، الايكوادور، فرنسا، غواتيمالا هاييتي، آيسلندا، ليبيريا، لوكسمبورغ، هولندا، نيوزيلندا، نيكوراغوا، النرويج، بنما، الباراغوي، بيرو، فيليبين، بولونيا، السويد، أوكرانيا، جنوب أفريقيا، الاتحاد السوفياتي، الولايات الأميركية المتحدة، الأوروغواي وفنزويلا.

والدول الـ13 ضد القرار

هي أفغانستان، كوبا، مصر، اليونان، الهند، إيران، العراق، لبنان، باكستان والسعودية، سوريا، تركيا، اليمن.

أما الدول العشر التي امتنعت عن التصويت

فهي: الأرجنتين، تشيلي، الصين، كولومبيا، سلفادور، أثيوبيا، هندوراس، المكسيك، المملكة المتحدة ويوغوسلافيا. وغابت تايلند عن التصويت.

وعندما أعلنت النتيجة انسحب المندوبون العرب من الاجتماع وأعلنوا في بيان جماعي رفضهم للخطة واستنكارهم لها.

قال وزير الدفاع الأميركي آنذاك «جيمس فورستل» في مذكراته تعليقاً على هذا الموضوع:

«إن الطرق المستخدمة للضغط ولإكراه الأمم الأخرى في نطاق الأمم المتحدة كانت فضيحة».

رفضت القيادات العربيّة والفلسطينيّة قرار التقسيم، واعتبرته قراراً ظالماً ومجحفاً بحقّ الفلسطينيّين. وفي الخامس عشر من أيّار عام 1948، اليوم المقرَّر لانسحاب القوّات البريطانيّة من فلسطين، أعلن دافيد بن غوريون قيام دولة إسرائيل على الجزء الذي خصّصه قرار التقسيم للدولة اليهوديّة، والذي – حتّى نهاية الحرب وتوقيع اتّفاقيّات الهدنة في ربيع عام 1949 – أُلحِقَ به 26 % من المساحة المخصَّصة للدولة العربيّة، لتضمّ إسرائيل 78 % من مساحة فلسطين التاريخيّة البالغة نحو 27 ألف كيلو متر مربّع، بينما بقي 22 % من هذه المساحة ليخضع تحت الفلسطينيون في إسرائيل.

والجدير بالذكر هنا أنه في معظم الأحيان لن يتم تجاهل الصيغ الأخرى التي تستخدم في تناول الموضوع. فعلى سبيل المثال، لم يلاحظ أحد كثيرا ما كشف عنه "ناحوم جولدمان"، في جريدة "لوموند دبلوماتيك الفرنسية في شهر اغسطس 1979"، فقد اتهم "جولدمان" الذي ترأس لأكثر من ثلاثين عاماً المؤتمر اليهودي العالمي الموالي الصهيونية، لأنه لم تتم استشارة العرب في ما يخص تقسيم فلسطين في عام 1947، كما أن رغبتهم في التفاوض بشأن حل وسط سياسي كان من الممكن من خلاله تجنب حرب عام 1948، استبعدها "بن جوريون" وقلل من شأنها، قبل مايو 1948.

حرب 48 تطهير عرقي لفلسطين

كان اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، يُعِدّون العدة لفرض الوجود الصهيوني بالقوة، وتمكنوا خلال فترة الحرب من حشد الكثيرِ من الأسلحة ومارسوا بعض الأعمال الإرهابية ضد الإنجليز لتتراجع بريطانيا عن سياستها الواردة في الكتاب الأبيض، ونجح هذا الأسلوب الإرهابي في إجبار بريطانيا على التراجع، كما أفاد في تقوية العناصر المسلحة الإسرائيلية، ومنذ أوائل أبريل عام 1948، أي قبل 40 يوماً من إعلان قيام دولة إسرائيل شنت القوات

الصهيونية هجوماً مسلحاً كان جزءاً من خطة عُرفت باسم «داليت».[35] وقد شمل الهجوم منطقة الساحل الفلسطيني والمناطق الأخرى الواقعة غرب القدس. وضمن هذه الخطة ارتكبت القوات الصهيونية العديد من المجازر والمذابح مثل (مجزرة سعسع، مذابح الرملة، مجزرة الدويمة)، ومذبحة «دير ياسين»[36] الرهيبة، وفي الفترة نفسها شنت القوات اليهودية هجومها على مدينة يافا فسقطت ولحقتها حيفا وطبريا، وهكذا في الفترة من أول أبريل وانتهت في 14 مايو نجحت الحركة الصهيونية في إنشاء دولتها على معظم أراضي الساحل الفلسطيني. وقد نتج على هذا «اقتلاع ما يقارب من 300 ألف مواطن فلسطيني من مدنهم وقراهم».[37] ولما عجزت الحكومة البريطانية عن التوفيق بين التزاماتها تجاه أطراف النزاع، قررت أخيراً عرض القضية على الأمم المتحدة التي أصدرت قرارها بتقسيم فلسطين بمجرد إنهاء الانتداب البريطاني قبل 1/ 8/ 1948 إلى دولة يهودية عربية مع تدويل منطقة القدس.

ففي العاشر من آذار 1948، عقدت قيادة الهاغاناه اجتماعاً في البيت الأحمر - مقرّ حركة العمّال في تل أبيب - وضمّ أحد عشر قياديًا بارزاً ومسؤولاً عسكريًا، على رأسهم بن غوريون، حيث أقرت الخطة داليت الرامية إلى تطهير الجزء الأكبر في فلسطين، وفي الليلة نفسها، صدرت الأوامر للوحدات العسكريّة بالتهيّؤ لطرد الفلسطينيّين. حملت الأوامر الصادرة - بحسب المؤرّخ إيلان بابيه - تفاصيل دقيقة حول أساليب تنفيذ التطهير العرقيّ: التخويف الشديد؛ فرض الحصار؛ تفجير قرى ومراكز مدن؛ إشعال النيران في البيوت والممتلكات، الطرد؛ الهدم؛ وأخيراً، زرع الألغام في الأنقاض لضمان عدم عودة السكّان.

وقد وُزّعت المهامّ على الوحدات المسلَّحة، وزُوّدت كلّ وحدة بقائمة تتضمّن أسماء القرى أو المدن التي عليها إخلاؤها (بابيه، 2006). كان في الهاغاناه فرق عدّة تحت تصرّفها، تسلمت كلّ واحدة لائحة

بالقرى التي عليها احتلالها وتدميرها. كانت هذه القرى تُحاصَر من ثلاث جهات، وتُترك الجهة الرابعة منفذاً للفرار. نفّذت القوّات الصهيونيّة العديد من المجازر ابتغاءَ إلحاقِ الرعب بالسكّان الفلسطينيّين نذكر منها هنا على سبيل المثال لا الحصر: احتلال ومجازر قرية سعسع، احتلال مدينة بئر سبع، ثم بدأت مرحلة الغزو فتم فيها الاغتصاب الشامل بعد انسحاب الانتداب متواطئاً في 1948م. وعن طريق حرب ضد العرب يسميها اليهود بحرب الاستقلال «عن الاستعمار البريطاني» أو حرب التحرير «من الاستعمار العربي». وفي هذه الحرب التي حددت مصيرها سياسة التسليح ومناورات السياسة من جانب الدول

الاستعمارية طرد نحو مليون من العرب الأصليين خارج الأرض المحتلة، بينما تدفقت الهجرة الكبرى لتجمع في النهاية نحو المليونين أو الثلاثة من الصهيونيين الذين يمثلون حوالي 13 % من اليهودية العالمية.

اما بالنسبة لفلسطين، فكانت الحرب هي النكبة والكارثة التي حلّت بأبناء الشعب الفلسطينيّ عام 1948 إثر قيام القوّات الصهيونية (الإسرائيليّة لاحقاً) بعمليّة تطهير عرقيّ واسعة ابتغت إخلاء فلسطين من سكّانها الأصليّين، في سبيل إقامة دولة قوميّة لليهود وكان احتلال فلسطين – مثلما ذكر – الصحافي البريطاني المتخصص في قضايا الشرق الأوسط «ديفيد هيرست» أسوأ من الاستعمار مقارنة بالاستعمار الأوروبي، لأن الهدف لم يكن استغلال أهل البلد بل طردهم.

هذه النكبة التي أدت إلى حدوث مأساة لشعب وارض فلسطين ليست مأساة محلية، بل هي كما ذكر المؤرخ البريطاني «أرنولد توينبي» في شهادته على نكبة فلسطين:

«إن مأساة فلسطين ليست مأساة محلية.. إنها مأساة العالم، لأنها ظلم يهدّد السلام العالمي».

او كما ذكر المؤرخ الإسرائيلي «إيلان بابيه»:

«لسنوات طويلة بدا مصطلح النكبة، الكارثة الإنسانية، مصطلحاً كافياً لتقديم (وصف) كل من أحداث العام 1948 في فلسطين وتأثير تلك الأحداث على حياتنا اليومية. أعتقد أن الوقت قد حان لاستخدام مصطلح آخر وهو التطهير العرقي في فلسطين».

وهذا هو حقيقة الأمر، وأقرب توصيف لما حدث في نكبة 48 للشعب الفلسطيني فقد أدّت عمليّات التطهير إلى طرد نصف السكّان الفلسطينيّين من أرضهم، وَ85 % من الفلسطينيّين الذين كانوا يعيشون في ما أصبح يُعرف لاحقاً بِـ"دولة إسرائيل" حُوِّل هؤلاء الفلسطينيّون لاجئين يعيشون في الدول العربيّة المجاورة، إضافة إلى الضفّة، بالإضافة لقتل وجرح آلاف الفلسطينيّين.

ترافقت النكبة بالعمل مباشرة على تصفية الملامح العربيّة للبلاد وبعمليّة تدمير المشهد الفلسطينيّ من خلال تغيير المشهد الثقافيّ والاجتماعيّ والرمزيّ كذلك. وبدأت معها عمليّة عَبْرَنة وتهويد مزدوجة، إذ حُوِّلت مساكن وبيوت اللاجئين الفلسطينيّين المفرغة –في الكثير من المدن العربيّة – إلى مساكن لاستيعاب المهاجرين اليهود، من جهة، وجرى إحلال تسميات جديدة توراتيّة وصهيونيّة ويهوديّة مكان الأسماء الفلسطينيّة.

وقد وصف» موشيه ديان"، بصورة واضحة، عمليّة تهويد وتحويل فلسطين إلى إسرائيل في محاضرة له أمام مجموعة من الطلبة في معهد التخنيون وجاء فيها:

◀ חומרי עזר 3 / מקורות בנושא "שמות מקומות"

שמות

"יישובים יהודיים נבנו במקום כפרים ערביים. אתם אפילו לא יודעים את השמות של אותם כפרים ערביים ואני לא מאשים אתכם בגלל שספרי הגאוגרפיה לא קיימים יותר. לא רק הספרים אינם קיימים, אלא גם הכפרים הערביים אינם. נהלל קם במקום מעלול; קיבוץ גבת במקום ג'יבתה; קיבוץ שריד במקום חוניפיס; וכפר יהושע במקום תל אלשומן. אין מקום אחד בנוי בארץ שלא הייתה בו אוכלוסייה ערבית בעבר".

מתוך נאום של משה דיין בפני סטודנטים בטכניון שהתקיים ב-19.3.1969, עיתון "הארץ", 4.4.1969

الكلام الذي قاله "موشي ديان" أمام الطلبة في معهد التخنيون بتاريخ 19 - 3 - 1969

«لقد حلّت قرى يهوديّة مكان قرى عربيّة. ليس في مقدوركم أن تعرفوا اليوم حتّى أسماء تلك القرى العربيّة. وأنا لا ألومكم، فكتب الجغرافيا لم يعد لها وجود؛ بل إنّ القرى العربيّة ذاتها لم يعُد لها وجود. لقد حلّت نهلال مكان معلول، وجبعات مكان جبع، وسريد مكان خنيفس، وكفار يهواشوع مكان تلّ الشمام. ليس هناك مكان مبنيّ واحد في هذه البلاد لم يكن من قبل مسكوناً بالعرب".

وإذا كانت النكبة تعني ترحيل الإنسان الفلسطيني من أرضه والاستيلاء عليها بالقوة ضمن هذين المركبين، فتكون النكبة بدأت منذ عشرات السنين قبل 48، ولأنه لولا بريطانيا لما استطاع اليهود من الهجرة إلى فلسطين والاستحواذ على الارض ولم يكن اليهود يفعلون ذلك دون الحماية من الحكومة البريطانية، ولم يكن لبريطانيا أي حق في إعطاء أرض فلسطين

لليهود. وهذا ما شهد به المؤرخ الإسرائيلي بجامعه اكسفورد ببريطانيا دكتور «آفي شليم»:

«لم يكن لبريطانيا حق أخلاقي أو سياسي أو قانوني يخول لها بإعطاء أرض هي ملك للعرب للأناس آخرين.. كان وعد بلفور غير أخلاقي وغير قانوني».

في يوم 14 مايو 1948 كان (دافيد بن جوريون) رئيس أول حكومة مؤقتة لإسرائيل يعلن عن قيام الدولة اليهودية في أرض إسرائيل وناشد الشعب اليهودي في المنفى أن يقف إلى جانبها في الصراع الوشيك مع العرب من أجل تحقيق حلم الصهيونية.

وبعد ثلاثة أشهر من إعلان قيام الدولة، صرّح بن غوريون، أمام فريق من الصهيونيين الأميركيين، بقوله "على الرغم من تحقيق حلم إقامة الدولة اليهودية، فإننا لا نزال في بداية الطريق. فعدد اليهود في إسرائيل هو تسعمئة ألف فقط. ومهمتنا التالية هي استقدام جميع اليهود إلى إسرائيل" . [38]

وقد اعتبرت إسرائيل نفسها منذ ذلك الوقت «إسرائيل الصغرى» فقط، على أساس أن هدفها المعلن هو «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات.

خريطة إسرائيل الكبرى

وفي سبيل تحقيق هذه الخطة، قامت بحروب ضد الدول العربية عملت فيها بالتواطؤ مع دول الاستعمار الغربي.

كان قد مر على قيام دولة إسرائيل حوالي سبع سنوات، والفترة منذ قيامها في 15 مايو 1948 حتى 28 فبراير 1955، لم تكن فترة هدوء عسكري بين إسرائيل والعرب المجاورين لفلسطين. فقد كانت هناك استفزازات إسرائيلية مستمرة تستهدف خلق أجواء من التوتر في ظل عدم وجود رادع عسكري عربي، وكانت عين الكيان الإسرائيلي دوماً على مصر بعد قيام ثورتها في يوليو 1952. وهذا ما يؤكده «موشيه شاريت»[39] في مذكراته حيث قال:

«في تشرين الأول 1953 إن قادة إسرائيل كان لديهم استعداد لاحتلال سيناء، لكنهم أصيبوا بخيبة أمل، لأن المصريين لم يسهّلوا مهمة الاحتلال، وأنهم حين يرتكبون «مجزرة بشعة» يسعون لاختراع عملية مثيرة تالية لصرف انتباه العالم عن العملية الأولى».[40]

ويسجل شاريت في مذكراته أيضاً بأنه في شباط 1954 أن بن غوريون اتهمه بعدم الجرأة لاعتراضه على دفع الموارنة في لبنان

«إلى إعلان قيام دولة مسيحية في لبنان... لبنان أضعف حلقة في جامعة الدول العربية... مصر هي أكثر الدول العربية إحكاماً وصلابة».

على حدّ وصف بن غوريون في خطاب أرسله لشاريت. لكن شاريت، ردّ على بن غوريون معتبراً إعلان دولة مسيحية في لبنان:

«في الظروف الحالية... ستعتبر مضاربة غير محسوبة... لمصلحة مميزات تكتيكية مؤقتة لإسرائيل».

لكنه لم يرفض المبدأ إلا لأنه في تلك الظروف «مغامرة مجنونة» سوف تسبّب خسارة.

والجدير بالذكر هنا أنه عندما طالب مساعد وزير الخارجية الأميركية السيد «بايرود» سنة 1954 بإيقاف هجرة اليهود، والتعويض على الفلسطينيين، مقابل «معاهدة سلام» مع العرب، قامت قيامة إسرائيل ومؤيديها في الولايات المتحدة، وعندما خاطبهم السيناتور «فولبرايت» William Fulbright في جامعة تل أبيب بأن يقبلوا السلام مع العرب، وجهت إليه الإهانات وأوقفوه عن الكلام[41].

ولذلك سارعت إسرائيل بوضع خطط لتوتير العلاقات بين القاهرة وكل من بريطانيا والولايات المتحدة، ومن ضمن هذه المخططات الفاشلة، ما عرفت بعملية «سوزانا» وهي

عملية سرية إسرائيلية استهدفت تفجير أهداف مصرية وأميركية وبريطانية في مصر في صيف عام 1954، ولكن العملية اكتشفتها السلطات المصرية وسُمّيت باسم فضيحة لافون، نسبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك بنحاس لافون الذي أشرف بنفسه على التخطيط للعملية.

الغارة الإسرائيلية على غزة 1955 أو عملية السهم الأسود (חץ שחור حتس شاحور). أو المذبحة الإسرائيلية

شجّع موشي ديان الذي كان وقتها رئيساً لأركان الجيش، على تنفيذ العملية، إذ كان يسعى منذ توليه هذا المنصب عام 1953 إلى خلق أخطاء تغذي الصراع عسكرياً، متبنياً في ذلك نظرية التحرش ثم الرد تحت ذريعة الانتقام، وساعده على ذلك أستاذه رئيس الوزراء ديڤيد بن كوريون الذي كان وقت تنفيذ الغارة وزيراً للدفاع إلى جانب رئاسته للحكومة وهما المنصبان اللذان بدأ بهما حكم إسرائيل. وكان هذا التحرش بالفعل هو ما نجمت عنه الغارة الإسرائيلية المسماة بعملية السهم الأسود على غزة.

فقد شنت إسرائيل في 28 فبراير واول يوم من شهر مارس عام 1955، غارة على غزة عندما كانت غزة تحت الحكم المصري، رداً على هجمات الفدائيين المتكررة وعلى استيلاء مصر على السفينة الإسرائيلية بات كاليم. وقد نتج عن الغارة الإسرائيلية استشهاد 38 جندي مصري وثمانية جنود إسرائيليين. وقد كان تلك الغارة الأكبر من نوعها ضد دولة عربية منذ انتهاء حرب فلسطين في 1949.

الأمر العملياتي للجنود الإسرائيليين لتنفيذ مجزرة غزة 1955 وهذا الأمر وغيره من خرائط تنفيذ العملية موجود على موقع إرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي (www.archives.mod.gov.il/) وقد تم الإفراج عنها ونشرها في الصحف الإسرائيلية بتاريخ 17 - 2 - 2012

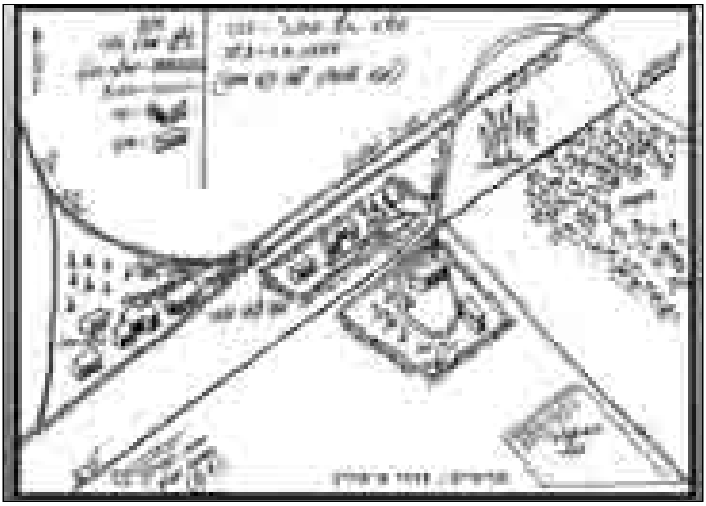

(موقع مخيم الجيش المصري في قطاع غزة)

تعتبر عملية «السهم الأسود» في أرشيف الجيش الإسرائيلي من أهم العمليات وأنها فُرضت من قبل شارون وديفيد للردّ على أعمال القتل والمخابرات من جانب المصريين في قطاع غزة، وقال شارون «الهدف من هذه العملية هو دخول معسكر للجيش المصري في قطاع غزة وقتل جميع الجنود وتفجير كل الأسلحة والقنابل الموجودة فيه، وتخريب منشآته بالكامل حتى تتم العملية بنجاح».

وتعتبر عملية السهم الأسود إحدى المجازر الكثيرة التي قام بها الكيان الإسرائيلي ضد سكان قطاع غزة. والجدير بالذكر هنا ان إسرائيل قامت بهذه العملية رغم وجود هدنة وقف إطلاق نار بين مصر والكيان الإسرائيلي، وكان موقف قائد فرقة الأمم المتحدة المرابطة هناك لحفظ هدنة وقف إطلاق النار الكندي «اللفتنانت جنرال E.L.M." بيرنز، كان حاسماً جداً من هذه العملية وبما وصفه بـ»الاستفزاز المستمر من القوات الإسرائيلية والكيبوتسات المسلحة». وكان استنتاجه: «أن انتقام إسرائيل أمر لا ينتهي»، كما وصف هذه الاعتداء الهمجي كما يلي:

«طابع ومدى هذه العملية من ناحية الأضرار التي تسببتها لا سيما الخسائر البشرية الفادحة تجعل منها تجاوزاً شديداً لهدنة إطلاق النار».(42)

وقد برر الكيان الصهيوني اعتداءه بأعمال تخريبية مصرية سبقت ذلك. لم تصادق أي دولة على التبريرات الإسرائيلية حتى الولايات المتحدة الأميركية، مما أدى في 29 آذار 1955

إلى إدانة إسرائيل على فعلتها في مجلس الأمن في جمعية الأمم المتحدة، لكن دون أن ينتج عن ذلك أي عواقب.

وتأتي مذكرات رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق موشي شاريت لتكشف أن قادة إسرائيل عام 1955، ثبت لهم أن «احتلال غزة لن يحل أي مشكلة أمنية»، وأن الدولة العبرية قامت على مبدأ القوة التي تضمن لها درجة من التوتر من خلال افتعال حرب مع أي طرف عربي. ويقول شاريت في مذكراته:

«إن الخطر العربي أسطورة اخترعتها إسرائيل لأسباب داخلية.. ولم تستطع النظم العربية إنكارها تماماً، رغم أنها كانت على الدوام في خوف من استعدادات إسرائيل لحرب جديدة».

وإن احتلال غزة وشبه جزيرة سيناء المصرية كان على «أجندة» القادة في إسرائيل، التي تستمدّ قدرتها على البقاء من «خلق الأخطار» و»اختراع الحروب».

وبالفعل تبين فيما بعد أن هذه المذبحة في قطاع غزة عام 1955 لم تكن إلا تحضيراً لاحتلال قطاع غزة في سنة 1956. وكانت إحدى نتائج هذه المذبحة تحول رئيس مصر آنذاك جمال عبد الناصر عن الغرب إلى المعسكر الشرقي، بسبب دعم الغرب لإسرائيل بالسلاح.

ويقول شاريت في مذكراته ايضاً:

«إن عودة بن غوريون إلى رئاسة الوزراء في نهاية 1955 تزامنت مع رغبة أميركا التي كانت مهتمة بإسقاط نظام الرئيس جمال عبد الناصر، فأعطت إسرائيل الضوء الأخضر للقيام بغزو مصر».

وذلك بعد أن قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس أشعلت «إسرائيل» حرب السويس العدوانية، بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا عام 1956 وتسمى «العدوان الثلاثى»، إثر رفض البنك الدولي –بإيعاز أميركي – تقديم قرض لمصر لبناء السد العالي مما أدى إلى قيام كل من فرنسا وانجلترا بالتنسيق مع إسرائيل، بشن هجوم شامل على مصر بدأ في 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1956، بدخول القوات الإسرائيلية إلى سيناء، وهو ما اعتبرته فرنسا وإنجلترا (وفقاً للسيناريو المرسوم مسبقاً) ذريعة للتدخل في منطقة القناة. وقد كشف أرشيف الجيش الإسرائيلي عن ملفات سرية من وقت حرب السويس في عام 2006.

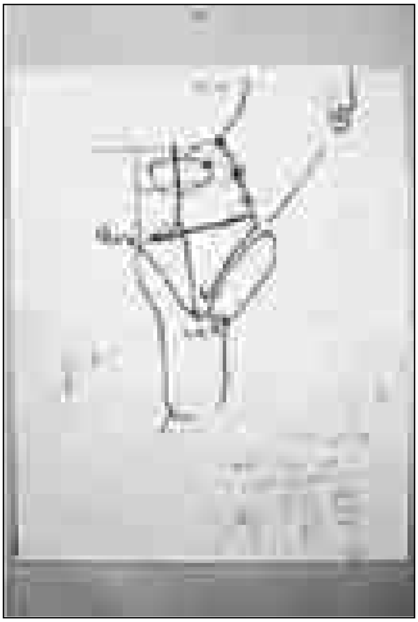

خطة حملة سيناء – على رأس علبة سجائر

«ما تراه هو نسخة، وكان الأصل على مربع السجائر»، نائب رئيس الوزراء شيمون بيريز، والوثيقة التاريخية التي كشف عنها أرشيف الجيش الإسرائيلي. وقبيل الذكرى السنوية الـ50 لحملة سيناء (أزمة السويس) في أكتوبر ونوفمبر 1956 والمبينة ثلاثة سهام كيفية المضي قدماً في جيش الدفاع الإسرائيلي على خط اليد والرسم. ورسمت من قبل موشي ديان».

ورغم انسحاب القوات المصرية من سيناء، فإن الضغط الدولي السوفياتي والأميركي والمقاومة المصرية، قد أدّت إلى إنهاء العمليات في 6 نوفمبر/ تشرين الثاني، وانسحاب إسرائيل عام 1957 من سيناء.

ويقول السيناتور «فولبرايت» في كتابه ثمن الإمبراطورية[43] بأن الرئيس «أيزنهاور» كان الرئيس الوحيد الذي وقف متحدّياً الصهيونية، ولا سيما عندما خاطبهم بقوله:

«إذا لم تنسحبوا فسوف نقطع عنكم المعونات كلها».

وكان يدرك بأن إسرائيل كانت تريد من هذا الغزو دفع الأردن لمشاركة المصريين في القتال، كي تضع يدها على الضفة الغربية، والقدس الشرقية، وبغزوها مصر تضع يدها على غزة، تحت إطار المشروع المتدرّج لإقامة إسرائيل الكبرى، مع العلم بأن إسرائيل قد حازت على اعتراف الحكومة الأميركية، بدون أن تحدد الدولة الأميركية حدود الدولة العِبرية، مما ألحق

الضرر ليس بإدارة الرئيس «أيزنهاور» فقط، وإنما بالإدارات الأميركية اللاحقة.

ومهما يكن من أمر فإن الإدارة الأميركية، وبعد وقف «الاعتداء الثلاثي» على مصر، بدأت تقوم بدورها كبديل للدول الاستعمارية السابقة، وأخذت تتعاطى مع الشرق الأوسط كمنطقة نفوذ، آخذة بعين الاعتبار دائماً تفوق إسرائيل العسكري وإمدادها بالمعونات المادية والعسكرية، فما كان من «عبد الناصر» إلاّ الانضمام إلى فكرة «عدم الانحياز»، ولكنه سرعان ما واجه مجابهة عنيفة من المعسكرين الشرقي والغربي.

وبعيد حرب السويس وزوال آثار العدوان الأخير وضع «موشيه ديان» مخططاً في صورة وثيقة سرية لتقسيم الشرق الأوسط.

وثيقة موشيه ديان 1956 – 1957 لتقسيم الثرق الأوسط

وثيقة هيئة أركان الجيش الإسرائيلي والتي وردت في كتاب خنجر إسرائيل للمؤلف الهندي « كارنجيا» على العمل لتنفيذ سيناريو يقوم على إحياء العداوات التاريخية بين شعوب المنطقة وإعطائها أبعاداً دينية وطائفية ومذهبية.

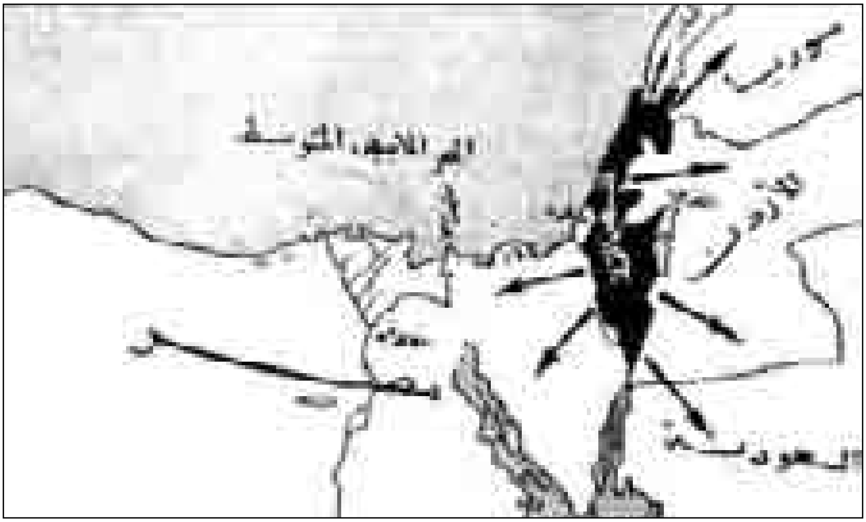

وفي أوائل عام 1957 بدا واضحاً أن العدوان لم يحقق أهدافه اذ اضطر العدو إلى الانسحاب.

فقد كان هدف إسرائيل الدائم الانفراد بمنطقة الشرق الأوسط، بإفناء الوجود العربي أو إجلائه. وهذا واضح تماماً في احدى فقرات مخطط موشيه ديان التي تقول:

«وهذه العملية لن تكلفنا سوى إجلاء 1.600.000 (مليون و600 ألف) عربي عن أرضهم».

وكان هذا المخطط وليد ظروف دولية وأطماع استعمارية يمكن تلخيصها بثلاثة:

1 –إن ايزنهاور وكان وقتئذ رئيساً لأميركا، وعد بن غوريون بحل مشاكل إسرائيل خلال عشرة أعوام.

2 –إن فرنسا كانت تلعب دوراً استعمارياً في الوطن العربي آنذاك.

3 –إن مصالح بريطانيا وأميركا متشابكة كالنسيج مع مصالح الصهيونية.

ترجمة جزء من الوثيقة (الخطة الاستراتيجية للجيش الإسرائيلي لعام 1956 – 1957 من الأصل العبري)

«إن الغاية من الحرب بين إسرائيل والعرب هي لتبديل خط الحدود القائم وإن احتلال الأراضي التي تدّعيها إسرائيل سيحسن حالة بلادنا الاقتصادية والسياسية...

إن الحاجة للاستيلاء على الأراضي التي تدّعيها إسرائيل يمليها هدف الصهيونية الأساسي وهو إنشاء دولة سكانها ما بين 3 إلى 4 ملايين، وذلك خلال حياة جيل واحد. ويعتقد بأن السكان اليهود في إسرائيل سيبلغون لغاية عام 1957 (1،800،000) ومهمتنا هي اغتصاب الأراضي العربية وتوطيد سيطرتنا عليها، ووضع ثروتها المادية في خدمة السكان اليهود والأقلية الوطنية التي تقيم في إسرائيل.

يضاف إلى هذا أن الهدف السياسي وراء اغتصاب الأراضي العربية هو تقوية وضع إسرائيل السياسي عن طريق اغتصاب الطرق الاستراتيجية المهمة في الشرق الأوسط، وإقامة مم عبر البلاد العربية، ومنع الوحدة العربية ونشر الدعاية المؤاتية لإسرائيل بين أقليات الشرق الأوسط.

إن متطلبات دفاعنا تجعل من الضروري الاستيلاء على المناطق التالية:

المنطقة الجنوبية، غزة: ستضمن هذه المنطقة سلامة مراكزنا الحيوية وستمكننا أيضاً من اغتصاب القطاع الجنوبي لشبه جزيرة سيناء وتأمين منفذ من إيلات.

شبه جزيرة سيناء: سيجعل احتلالها الهجوم المصري أثراً مستحيلاً وبالفعل ستكون مصر نفسها في خطر دائم من المهاجمة.

المنطقة الشرقية، غربي الأردن (المثلث)، تلال الخليل وشرقي الأردن بما في ذلك المناطق الصحراوية. إن الاستيلاء على هذه المناطق سيمكن إسرائيل من إقامة حدودها مع

العراق والعربية السعودية.

المنطقة الشمالية، وتتضمّن الجولان وحرمون والليطاني: أن هجوماً يشن في هذا القطاع سيجعل بالإمكان الاستيلاء على الجولان ويوغان وهرمان واليرموك وشمالي الجليل حتى نهر الليطاني.

الأقليات العربية:

لتقويض الوحدة العربية وبث الخلافات الدينية بين العرب يجب اتخاذ الإجراءات منذ اللحظة الأولى من الحرب لإنشاء دول جديدة في أراضي الأقطار العربية:

دولة درزية (منطقة الصحراء وجبل تدمر).

دولة شيعية، تشمل قسماً من لبنان (إريتز أشر) أي منطقة جبل عامل ونواحيها.

دولة مارونية (جبال لبنان حتى الحدود الشمالية الحالية للبنان).

دولة علوية (اللاذقية حتى الحدود التركية).

دولة كردية (شمالي العراق).

دولة أو منطقة ذات استقلال ذاتي للأقباط.

وستوزع الأراضي العربية (بما في ذلك المنطقة الصحراوية) بين الدول الجديدة.

تبقى المناطق العربية التالية: دمشق، جنوب العراق، مصر، وسط العربية السعودية وجنوبها. ومن المرغوب فيه إنشاء ممرات غير عربية تشق طريقها عبر هذه المناطق العربية».

ومن الواضح هنا ومن قراءتنا للمخطط الكامل أن للثالوث الاستعماري بريطانيا، أميركا/ إسرائيل، مصالح منفردة خاصة بكل واحدة منها ومصالح مشتركة.

تبلورت المصالح المشتركة في قضيتين أساسيتين، هما: القضاء على الوحدة العربية والسيطرة على المنطقة العربية. ثم القضاء على حركة الثورة العربية.

أما المصالح المنفردة فهي كالتالي:

بريطانيا:

بقاء احتكاراتها النفطية في منطقة الخليج العربي سليمة.

بقاء وجودها الاستعماري في الجنوب العربي بأقل التكاليف.

السيطرة على قناة السويس.

الولايات المتحدة:

إقامة قواعد عسكرية في القطر السوري تعزز وجود الأسطول السادس في البحر المتوسط والقواعد الأخرى في الشمال الأفريقي العربي، وتطويق الاتحاد السوفياتي.

سلامة احتكاراتها النفطية في منطقة الخليج العربي.

توظيف الرأسمالية الأميركية في الوطن العربي.

مرور هذه الرساميل إلى افريقيا عن طريق إسرائيل مروراً متستراً يغافل الحركة القومية في هذه القارة.

الإطلال على آسيا وأفريقيا لضرب حركات التحرر القومي فيها.

إسرائيل:

تفتيت الكيانات الإقليمية المجاورة لها.

الاحتلال العسكري ومن ثم البشري لمناطق أوسع من الأرض العربية تحقيقاً للحلم الصهيوني في إقامة دولة تمتدّ من النيل إلى الفرات.

استقدام ملايين المهاجرين الجدد لاستعمار الأرض العربية بشرياً.

إفناء العرب كوجود وكمقاومة.

السيطرة على خط أنابيب التابلاين البترولية.

الوصول إلى منطقة الخليج العربي بما فيها الكويت.

تقسيم الشرق الأوسط إلى دويلات طائفية عاجزة.

وكانت بداية تنفيذ مخطط «موشى ديان» هي أن في عام 1958 عندما اقترح «بن غوريون»، أول رئيس وزراء للكيان الإسرائيلي على الرئيس الأميركي إيزنهاور بتاريخ 24/ 7/ 1958 في رسالة وجهها إليه «إقامة سد منيع ضد المد الناصري» (أي التيار القومي) وللوقوف أمام التوسع السوفياتي من «إسرائيل» وتركيا وإيران.[44]

وبعد ذلك خططت «إسرائيل» والولايات المتحدة لحرب حزيران العدوانية عام 1967، ولأهدافها السياسية والاقتصادية وحاولت الولايات المتحدة دون معاقبة العدو على حربه العدوانية وإجباره على دفع التعويضات طبقاً لأهداف ومبادئ الأمم المتحدة والقانون الدولي.

الاستعمار الصهيوني وإعادة تخطيط الشرق الأوسط 1967

وتعرف هذه الحرب في الفكر العربي باسم النكسة، بينما تطلق عليها إسرائيل والكتابات الدولية «حرب الأيام الستة»، وقد مثلت هذه الحرب كارثة متعددة الأبعاد، لم تمح آثارها كاملة من الذاكرة العربية حتى الآن، حيث تعرّضت جيوش ثلاث دول عربية لهزيمة ساحقة من جانب القوات الإسرائيلية، خلال أيام 5 – 10 يونيو/ حزيران 1967، وأسفر العدوان عن احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان وشبه جزيرة سيناء، وتجسد الإرهاب والتمييز العنصري الصهيوني ضد سكان المناطق العربية المحتلة في سياسة الضم الزاحف والقبضة الحديدية ومخططات خلق الوقائع الجديدة، التي تستهدف في مجملها تقطيع أوصال المناطق المحتلة والتضييق على سكانها ودفعهم لمغادرتها والهجرة منها لزرعها بالمستوطنين الصهاينة وتهويدها.

وبدأت المخططات الإسرائيلية لمستقبل الوطن العربي بالظهور بعد الحرب العدوانية مباشرة، وبعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان، وتمسك العدو الإسرائيلي بالأراضي العربية المحتلة لإجبار العرب على القبول بمخططاته السياسية والاقتصادية.

وقد كان الدعم الشعبي الذي حصلت عليه إسرائيل خلال الربع الأخير من القرن العشرين على أساس عدد من الأساطير والفزاعات، واكثرها تكراراً كانت الخاصة بأمن إسرائيل، وتحت زعم أن تهديدات خطيرة ودائمة يواجهها بقاء المجتمع اليهودي في فلسطين تتم تغذية تلك الأسطورة دائماً من أجل إثارة صورة مخيفة لدى الرأي العام لسماح وتشجيع استخدام كميات كبيرة من الأموال العامة لدعم إسرائيل عسكرياً واقتصادياً، ويبقى أمن إسرائيل هو الذريعة الرسمية التي من خلالها تتنكر ليس فقط إسرائيل بل ايضاً الولايات المتحدة الأميركية لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره في وطنه.

وطوال السنوات الماضية منذ الاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين تم قبول تلك الذريعة كتفسير شرعي لانتهاك إسرائيل للقرارات الدولية التي تدعو إلى عودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه.

كما تم السماح لإسرائيل بأن تحتجّ بأمنها لتبرير رفضها الانسحاب من الأراضي العربية الفلسطينية التي احتلتها في عام 1967. ولا يزال الأمن هو المبرر الذي تقدمه الحكومات الإسرائيلية المتتالية للمذابح التي ترتكبها على نطاق واسع ضد المدنيين في فلسطين ومصادرة الأراضي العربية من أجل إقامة مستوطنات يهودية في الأراضي المحتلة، وللترحيل وللاعتقالات السياسية التعسفية ولإتمام هذه السياسة كان لا بد من اللجوء إلى المزيد من المخططات التي تساعد في تفتيت الشرق الأوسط لكي تلهو الدول في مشاكلها الداخلية وتبتعد عما يحدث على أرض فلسطين من انتهاكات. وكانت حليفة إسرائيل في هذه المخططات هي الولايات المتحدة الأميركية. ففي عام 1970 ظهرت للعيان مؤامرة الأميركي «زبيجنيو بريجنسكي» والذي يعتبر أول من وضع معالم المخطط الشيطاني لتفتيت العالم العربي دويلات وصاحب نظرية (التحالف مع الأصولية الدينية في الشرق الأوسط)[45] لتنفيذ مخطط التفتيت والتقسيم، فبريجنسكي وهو صاحب نظرية استبدال الأنظمة في الشرق الأوسط بجماعات أصولية إسلامية تتم مساعدتها لبلوغ السلطة مقابل التبعية والهدف في تنفيذ المخططات المعدّة في الغرب سلفاً.

«لكن قادة إسرائيل بعد حرب الأيام الستة رأوا أن هذه الحرب قد أنهت جميع الحروب بين العرب وإسرائيل ويجب على العرب طلب الاستسلام»[46] وليس السلام.

وفي يوم السادس من أكتوبر عام 1973، انطلقت أكثر من 220 طائرة إلى سيناء الأسيرة في توقيت واحد متّجهة صوب أهدافها المحدّدة وبهذا اندلعت الشرارة الأولى لحرب التحرير الكبرى، فذاق الإسرائيليون، أول مرّة منذ إقامة دولتهم، مرارة الهزيمة، لقد حطمت الحرب بالنسبة إلى الإسرائيليين «أساطير» عديدة منها «إمكانية المحافظة على الوضع الراهن الناجم عن حرب الأيام الستة» و«الاستخفاف بالرأي العام العالمي» و«الثغرة الأبدية» بين القوى العسكرية الإسرائيلية والقوة العربية. لقد ساد في إسرائيل بعد الحرب مشاعر القنوط والكدر على الحكومة الإسرائيلية.

وبعد انتصار مصر على إسرائيل في حرب 6 أكتوبر، أعلن الرئيس محمد أنور السادات في مجلس الشعب يوم 16 أكتوبر عام 1973 مبادرته الثانية للسلام.

أما مبادرة السادات الثالثة للسلام فكانت من خلال زيارته للقدس حيث ألقى خطاباً أمام الكنيست الإسرائيلي في 20/ 11/ 1977 أعلن فيه عن استعداده لإبرام معاهدة سلام بشروط. وتمت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل "معاهدة كامب ديفيد". وجاء في نص

الاتفاقية التي وقعت في مارس 1979:

«إن حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة إسرائيل اقتناعاً منهما بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط وفقاً لقراري مجلس الأمن 242، 338 إذ تؤكدان من جديد التزامهما بإطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد ويعتبر المؤرخ في 17 سبتمبر 1978.

وإذ يلاحظ أن الإطار المشار إليه إنما قصد به أن يكون أساساً للسلام ليس بين مصر وإسرائيل فحسب، بل أيضاً بين إسرائيل وأي من جيرانها العرب كل في ما يخصه».[47]

وبعد إبرام اتفاقيات السلام مع مصر سادت حالة اللاسلم واللاحرب (أي الجمود)، وبالرغم من توقيع إسرائيل خلال معاهدات السلام مع مصر على عدم التعرض للفلسطينيين، إلا أننا نجد أن إسرائيل قامت بالعديد من العمليات الإرهابية ضد المجالس المحلية والبلدية، وطرد السكان وتهجيرهم.

وفي فجر 15 آذار 1978، اجتاحت قوة من الجيش الإسرائيلي، قدرت بنحو 30 ألف جندي بسلاحهم المدرع والجوي والبحري، جنوب لبنان، من محاور عدة. مما أسفر عن احتلال معظم المناطق الواقعة جنوب الليطاني، وتشريد أكثر من 200 ألف من أهالي الجنوب والمخيمات الفلسطينية فيه، قتل عدد كبير من المدنيين. وبعد هذا الاجتياح وبالتحديد في العام 1982 تم وضع وثيقة «استراتيجية إسرائيل للثمانينيات»[48]، وتعتبر هذه الوثيقة البيان الأكثر صراحة وبتفصيل واضح حتى الآن من الاستراتيجية الصهيونية في الشرق الأوسط.

ولكي نستوعب تماماً إطار الخطة، يجب أن نستعرض سريعاً الأحوال الإقليمية والعالمية في ذلك الوقت، ففي أوائل سنة 1982، كان الاتحاد السوفياتي ما زال قائماً، يحتل أفغانستان، يهيمن على شرق أوروبا، ويناطح أميركا في حرب باردة، إسرائيل عقدت اتفاقية السلام مع مصر وسلمت معظم سيناء، تحت غطاء دولي وفرته الحرب العراقية – الإيرانية التي كانت في أوجها، وكذلك الحرب الأهلية اللبنانية.

لبنان كان واقعياً مقسماً لـ 5 دويلات آنذاك، ما بين شمال في أيدي المسيحيين التابعين لسليمان فرنجيه بتأييد من سوريا، وشرق ينتشر فيه الجيش السوري، ووسط يسيطر عليه الجيش اللبناني، ومحاذاة نهر الليطاني التي تهيمن عليها منظمة التحرير الفلسطينية، وجنوب موالٍ لإسرائيل بقيادة ميليشيات سعد حداد.

فكرة انقسام لبنان تلك كانت تروق جداً للإسرائيليين بشرط إعادة توزيع الأقسام لتحقق لهم أكبر قدر من الأمن، بعد التخلص من الجيش السوري ومنظمة التحرير.

من هنا، نبتت في ذهن "عوديد يينون" فكرة لبننة العالم الإسلامي كله، فهي تقريباً الطريقة الوحيدة التي قد يتمكّن بها شعبٌ صغير مثل الشعب اليهودي من حكم مساحة تمتدّ من النيل للفرات، بالإضافة للمصلحة العقدية المادية في التقسيم الطائفي للمنطقة. رأى يينون فائدة أخرى في إرساء شرعية دولة إسرائيل، بما أن كل طائفة ستكون لها دولة، فوجود دولة يهودية يصبح مبرراً تماماً من الناحية الأخلاقية.

«استراتيجية لإسرائيل في الثمانينات»[49]

نظرة عامة على العالم العربي والإسلامي «طبقاً لنص الوثيقة العبرية»

إن العالم العربي الإسلامي هو بمثابة برج من الورق أقامه الأجانب - فرنسا وبريطانيا في العشرينيات - دون أن توضع في الحسبان رغبات وتطلعات سكان هذا العالم.

لقد قُسّم هذا العالم إلى 19 دولة كلها تتكون من خليط من الأقليات والطوائف المختلفة، والتي تُعادي كل منها الأخرى، وعليه فإن كل دولة عربية إسلامية معرضة اليوم لخطر التفتت العرقي والاجتماعي في الداخل إلى حد الحرب الداخلية، كما هو الحال في بعض هذه الدول.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك الوضع الاقتصادي يتبين لنا كيف أن المنطقة كلها، في الواقع، بناء مصطنع كبرج الورق، لا يُمكنه التصدي للمشكلات الخطيرة التي تواجهه.

في هذا العالم الضخم والمشتت، توجد جماعات قليلة من واسعي الثراء وجماهير غفيرة من الفقراء. إن معظم العرب متوسط دخلهم السنوي حوالي 300 دولار في العام.

إن هذه الصورة قائمة وعاصفة جداً للوضع من حول (إسرائيل)، وتُشكل بالنسبة (لإسرائيل) تحديات ومشكلات وأخطار، ولكنها تُشكل أيضاً فرصاً عظيمة.

اعتبرت الخطة أن أهم محاور الاستراتيجية المستقبلية لإسرائيل عقب الانتهاء من لبنان، يجب أن تتركز في تقسيم العراق لـ3 دول: شيعية — سنية — كردية، ومن بعد لبنان والعراق، مصر وليبيا والسودان وسوريا والمغرب العربي وإيران وتركيا والصومال وباكستان، استمدّ يينون واقعية مخططه من إشكالية أن الحدود العربية الحالية غير قابلة للدوام؛ مما

يجعل الدول العربية أشبه ببيوت مبنية من أوراق اللعب:

– الحدود وضعتها دول استعمارية دون اعتبار لهويات الشعوب وتوجهاتها ورغباتها.

معظم الدول العربية تضمّ طوائف عدة غير منسجمة.

الحكم تستحوذ عليه طائفة بعينها (في بعض الأحوال الطائفة الحاكمة أقلية مثلما هو الحال في سورية والعراق ولبنان والبحرين).

توجد صراعات على الحدود بين دول عربية عدة.

تصارع الأيديولوجيات بين الإسلاميين والقوميين والوطنيين سيصعد الصراعات الداخلية في كل دولة.

بعد 4 أشهر من نشر هذا المخطط، قامت إسرائيل بغزو لبنان ولم تخرج إلا بعد 18 سنة، أبادت وطردت خلالها الفلسطينيين هناك، وفعلت ما يكفي لإخراج الجيش السوري، ولولا اتفاق الطائف وظهور حزب الله في الجنوب لكان لبنان مقسماً الآن إلى 5 دويلات.

فقد قامت القوات الإسرائيلية بغزو لبنان لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية، وتقدّمت لتحاصر القطاع الإسلامي من بيروت لمدة عشرة أسابيع، قبل أن تنسحب بعد التوصل إلى اتفاق بشأن خروج "القوات الفلسطينية" من لبنان، وكان أهم نتائجها قيام إسرائيل بتوسيع "الشريط الحدودي" الذي كانت قد احتلته في جنوب لبنان عام 1978، وارتكاب القوات الإسرائيلية – مذبحة صبرا وشاتيلا، وتعرّض الجيش الإسرائيلي الذي كان أرييل شارون يقوده لهزة عنيفة.

وقد سبب الصراع العربي – الإسرائيلي للولايات المتحدة توتراً كبيراً في ما يتعلق بمصالحها الداخلية أو الخارجية، لا سيما أثناء الأزمات، حيث تنجم إشكاليات كبرى في مجال السياسة الخارجية، وفي الفترات التي خلت من أزمات، خفّت حِدّة التوتّر نظراً لصياغة السياسة الأميركية حِيال الصراع العربي – الإسرائيلي. وقد أحدثت نهاية الحرب الباردة وحرب الخليج الثانية 1990 تغيرات في السياسة الأميركية، في العديد من النواحي. فقد قامت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة، بالشروع في مصادرة نتائجها لصالحها، عبر تنصيب نفسها كزعيمة للعالم من أقصاه إلى أدناه، تقرر قواعد السلوك وصياغة العلاقات الدولية، منفردة في التأسيس لنظام عالمي وحيد القطبية، وكانت البداية أحداث كوسوفو وما أعقب ذلك من احتلال أفغانستان والعراق، والباب مفتوح أمام حروب جديدة، وبالتالي

إحداث هزّة قوية لكل القواعد القليلة للاستقرار الدولي، والشروع في انطلاق عصر جديد، يتّسم بإلغاء سيادة الدولة من أجل المصالح الكبيرة ولذلك وضعت الوكالة الأميركية للتنمية الدولية بعد توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد مخططاً للشرق الأوسط تحت عنوان: «التعاون الإقليمي في الشرق الأوسط». وكانت الوكالة الأميركية قد كلّفت ثماني عشرة مؤسسة أميركية حكومية وغير حكومية لوضع هذا المخطط، وتمخض عن التقرير الذي أعلنته الوكالة الأفكار التالية:

- سيكون الدور الأميركي حاسماً في مجال التعاون الإقليمي، وعلى الولايات المتحدة أن تلعب دور الوسيط.

- تقوم فكرة التعاون الإقليمي على أساس شرق أوسطي وليس على أساس عربي.

- إيجاد مؤسسات جديدة تتجاوز الجامعة العربية، لكي تسمح باستيعاب «إسرائيل» وانخراطها في النظام الإقليمي الجديد.

- إعطاء أهمية لدور الأكاديميين ورجال الأعمال في بداية التعاون الإقليمي وتطويره.

ويعالج المخطط الأميركي آفاق التعاون بين «إسرائيل» ومصر وسورية والأردن ولبنان والسعودية والضفة الغربية وقطاع غزة، ويتطرّق إلى الموارد المشتركة مثل نهر الأردن، والبحر الميت وخليج العقبة، وإلى مشكلة الصحاري والزراعة والتعاون العلمي والتكنولوجي(50).

ويوصي التقرير الأميركي في مجال النقل بربط خطوط المواصلات بشكل يعمل على تعزيز التجارة والسياحة، والبحث عن المياه الجوفية في سيناء، وبيع مياه النيل «لإسرائيل» وتحلية مياه البحر.

ويطالب التقرير بإقامة مشروعات صناعية مشتركة بين «إسرائيل، وجيرانها، ويؤكد على الدور الذي يجب أن تلعبه الولايات المتحدة في المرحلة الأولى من البدء في تنفيذه.

تُولي الولايات المتحدة الأميركية اهتماماً كبيراً للمنطقة العربية لخدمة مصالحها الاقتصادية والهيمنة على النفط العربي والمحافظة على تفوّق «إسرائيل» على جميع البلدان العربية، لذا اقترح البروفيسور الأميركي « روبرت تاكر» أنه «لمنع أميركا من أن تنزف حتى الموت من جرّاء نفط الشرق الأوسط عليها فرض السيطرة الأميركية الفعلية على المنطقة الممتدّة من الكويت نزولاً على طول الإقليم الساحلي للمملكة العربية السعودية حتى قطر.[51]

لقد أدّت أزمة الكويت في عام 1990 باجتياحها من قِبل القوات العراقية، إلى تعزيز الوجود

العسكري الأميركي الدائم، وزادت من تأثير السياسة الأميركية في دول الخليج، وشملت نتائجها السلبية الجامعة العربية، وانتعش نمو وتطور التعاون الإقليمي مع الكيان الصهيوني، وأخذت المخططات الإسرائيلية والأميركية تتحقق بعد حرب الخليج الثانية.

كما دخلت القضية الفلسطينية، مع بداية عقد التسعينيات من هذا القرن، منعطفاً جديداً، حاسماً وبالغ الخطورة، أحيطت فيه بجملة من الظروف المستجدّة والمتغيرات الطارئة التي تركت آثاراً مباشرة على مسار كفاح الشعب الفلسطيني منها: «تأثير الانتفاضة الفلسطينية ونتائجها، أزمات الاقتصاد الإسرائيلي المركّبة؛ لأسباب عديدة منها: تصاعد النفقات العسكرية، والآثار السلبية لاستمرار وارتفاع وتيرة نشاطات الانتفاضة في الأراضي المحتلة، ازدياد معدلات الهجرة اليهودية وتعاظمها إلى إسرائيل». [52]

هذه العوامل وغيرها، مهدت الطريق أمام برنامج التسوية الأميركي (اتفاقية أوسلو) الذي تمّ تكريسه فعلياً والتوقيع على بنوده تحت رعاية الولايات المتحدة الأميركية، تحت اسم اتفاق المبادئ الفلسطيني الإسرائيلي يوم الاثنين 13/ 9/ 1993. والتي كانت من أهم نتائجه انسحاب إسرائيل من قطاع غزة ومنطقة أريحا وتولي السلطة الفلسطينية الحكم في هذه المناطق، ووقع هذا الاتفاق حكومة حزب العمل «شمعون بيريس».

الاستعمار من بُعد

مخططات إسرائيلية وأميركية لخلق شرق أوسط جديد

هل بالفعل نجح العالم العربي في إنهاء الاستعمار؟ هل بالفعل تحرر من الاحتلال؟ أم أن الاحتلال الأوروبي.. الأميركي.. الإسرائيلي أوجد نفسه في أشكال أخرى تمكّنه من السيطرة ليس فقط على عالمنا العربي فحسب، بل على الشرق الأوسط كله وبتخطيط توارثته الولايات المتحدة الأميركية من المستعمر الأوروبي لتكمل مسيرة الاحتلال، ويتحول الاحتلال من الانجلو أميركي ليصبح الصهيو أميركي الذي أوجد سبلاً أخرى؟!

عملت الولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي والكيان الصهيوني على تسخير مؤتمر مدريد الذي عُقد في 30 تشرين الأول 1991 لصياغة وبلورة النظام الإقليمي الجديد في الشرق الأوسط، وحاولت إضعاف الموقف التفاوضي لسورية ولبنان بالبدء في المفاوضات المتعدّدة الأطراف التي عُقدت في موسكو في 28 كانون الثاني 1992 للتوصل إلى تطبيع العلاقات قبل التوصل إلى السلام الشامل على جميع المسارات.

واستجاب الطرف الفلسطيني وانفرد بتوقيع اتفاق أوسلو، اتفاق غزة ـ أريحا في 13 أيلول 1993، وانفرد الأردن أيضاً بتوقيع إعلان المبادئ في 25 تموز 1994 ومعاهدة وادي عربة في 26 تشرين الأول 1994.

واتفق المغرب وتونس على إقامة علاقات رسمية مع الكيان الصهيوني وفتح مكاتب الاتصال في شهري: أيلول وتشرين الأول 1994.

وألغى مجلس التعاون الخليجي في 30 أيلول 1994 المقاطعة من الدرجتين الثانية والثالثة مع العدو الصهيوني، وساعدت هذه الخطوات التي اتخذتها الأطراف العربية على فتح الآفاق لإقامة النظام الإقليمي الجديد. وصاحب هذه الخطوات الرسمية بروزُ تيار سياسي يعمل على تسويق فكرة الشرق أوسطية، لإيجاد المناخ الملائم كي تتقبّله الأوساط الشعبية العربية ومن أبرز أقطابه المفكر اليساري لطفي الخولي.

وتهدف جميع المخططات إلى تأمين هيمنة الولايات المتحدة الأميركية على النفط العربي وفرض الهيمنة الصهيونية على البلدان العربية.

حدّد الرئيس الأميركي جورج بوش في كلمته الافتتاحية في مؤتمر مدريد أن جوهر السياسة الأميركية لا يقتصر على حل النزاع العربي ـ الإسرائيلي بل تهيئة الأجواء أيضاً لإقامة النظام الإقليمي الشرق أوسطي.

إن نظام الشرق الأوسط الكبير تجسيد للمخططات الصهيونية لمستقبل المنطقة العربية في مرحلة السلم الإسرائيلي، وهي مشروع صهيوني ساهمت في التخطيط له وإرساء دعائمه جميع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، العمالية منها والليكودية، ويحوّل «إسرائيل» دولة عظمى.

وترمي «إسرائيل» من خلاله إلى النجاح في تسويق النفط والغاز العربيين ونقل النفط من الخليج والعراق إلى أوروبا، فالشرق أوسطية تهدف إلى سلب الخيرات العربية، والتحكّم في تطوّر الأقطار العربية، والحيلولة دون إقامة صناعات وطنية متطورة.

«خرائط برنارد لويس – 1992»

ومرت 10 سنوات على خطة يينون، وضع البروفيسور الأميركي «برنارد لويس» مخططاً للشرق الأوسط نشرته مجلة «فورين أفيرز» الأميركية "Foreign Affairs" في خريف 1992 تحت عنوان:

«إعادة النظر في الشرق الأوسط»، انطلق فيه من التخلي الرسمي عن حلم القومية العربية، ورسم شرق أوسط جديد تصل حدوده الجغرافية إلى الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثاً.

عن طريق رسم خرائط جديدة، اختصت بالشرق الأوسط، وبدت وكأنها نموذج معدل لخطة يينون، في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية.

يقوم مشروع برنارد لويس أيضاً على تقسيم المنطقة طبقاً لخطوط عرقية طائفية لغوية، ويتطرق للبننة (نسبةً للبنان) وكذلك الحرب العراقية الإيرانية، عندما زوّد الغرب كل الأطراف بالأسلحة الفتاكة لكي يظل القتال مستمراً لأطول فترة ممكنة قبل أن يدرك المتصارعون كم كانوا أغبياء. ويعتبر برنارد لويس غزو العراق للكويت النهاية الفعلية لسيطرة العرب على سلاح البترول، فلن تتمتع بعده أية دولة نفطية بالاستقلال أو القوة، وكلمة السر هي (التحكم من الخارج) دون الحاجة لاحتلال عسكري على الأرض إلا بالقدر الذي يحمي موارد البترول إذا تعرّضت لخطر مسلح.

The Bernard Lewis plan for the Middle-East

بمقارنة خريطة لويس مع خطة يينون، نجد أنهما اتفقا على محو الدولة اللبنانية من الوجود وتقسيم العراق لـ3 دويلات: سنية وشيعية وكردية، وضم سيناء لإسرائيل، ولكن برنارد لويس اختلف مع يينون في الآتي:

– استبعد تقسيم مصر، (على أن تضم إسرائيل سيناء كما في خطة يينون).

– استبعد تقسيم سوريا.

– ركّز لويس أكثر على منطقة شرق الخليج العربي: إيران وأفغانستان وباكستان وكيفية تقسيمها، وقد ذكر يينون ذلك، ولكنه لم يتطرق للتفاصيل.

خطة برنارد لويس لا تكتفي بخرائط صماء تستغل الصراعات الطائفية والعرقية، ولكنها اشتملت أيضاً على إشعال 9 حروب في المنطقة، وعاشرتها حرب البلقان في أوروبا التي توقع أن تمتد لشرق البحر المتوسط، تلك الحروب ستسرّع عجلة تقسيم المنطقة، وبعد التقسيم تنشب حرب أخرى كبرى عربية – إيرانية بمجرد هيمنة إيران على الدويلة العراقية الشيعية.

أشار لويس لدولتين فقط، ينبغي الحفاظ على استقرارهما وقوتهما واستقلالهما والاعتماد عليهما:

إسرائيل وتركيا (أيام الانقلابات العسكرية على الحكومات ذات التوجه الإسلامي)، إلا أن ذلك لم يمنعه من طرح تصور الدولة الكردية التي تقتطع جزءاً من تركيا. من المثير للاهتمام أن لويس تكلم عن تنظيمات إسلامية مسلحة مصنوعة في بريطانيا، وأن استبداد الحكام في الدول الإسلامية سيغذّي تلك الميليشيات، مما يصب في مصلحة خطط التقسيم، إذ إن الانتصارات العسكرية لهؤلاء ستساهم بصورة كبيرة في إضعاف السلطة المركزية، ومن ثم تؤدي إلى سقوط الدول القائمة فقط على جبروت النظام، حيث تغيب المجتمعات المدنية الصلبة التي تحفظ نظيراتها في الغرب.

وبعد 10 سنوات من نشرها، وجدت رؤى برنارد لويس الاستعمارية النفطية ضالتها في إدارة جورج دابليو بوش التي استعانت بلويس كمستشار لها قبل غزو العراق.

الوجه الآخر للصراع في الشرق الأوسط

صراع أنابيب الغاز

كان ظهور النفط في الجزيرة العربية ومنطقة الخليج قد طرح معادلة جديدة زادت من الأطماع الأجنبية في تلك المنطقة ومحاولة احتوائها سياسيّاً واقتصاديّاً؛ فالولايات المتحدة الأميركية يسيطر عليها هدفان رئيسيان في الشرق الأوسط، هما: ضمان أمن إسرائيل، وحماية منابع النفط؛ لذا تركّز الصراع الدولي والإقليمي بالمنطقة دائماً على مسألتي الثروة العربية وقضية الصراع العربي-الإسرائيلي.

بعد إقرار اتفاق «كيوتو» سنة 1992، وتطبيق الدول الأوروبية إجراءات حازمة للحدّ من تلوّث الجوّ، تضاعف استهلاك أوروبا للغاز. ومن المتوقّع أن يزداد هذا الاستهلاك بأكثر من خمس مرّات في السنوات القليلة المقبلة، في ظل قرارات بإغلاق العديد من المفاعلات النووية المولّدة للطاقة. وهذا ما فتح شهيّة الكثير من الدول المصدرة للغاز نحو أوروبا بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك لمصالح اقتصادية ولأهداف مرتبطة بالنفوذ السياسي الدولي. وفي هذا السياق، توزّع روسيا الاتحادية (التي هي المصدّر الأوّل للغاز في العالم)، كمّيات ضخمة من الغاز السائل تبلغ 420 مليار طن سنوياً، عبر شبكة ضخمة ومعقدة من خطوط الأنابيب تمتد من روسيا مروراً بأوكرانيا وبيلاروسيا إلى مجمل أوروبا الشرقية سابقاً، وصولاً إلى ألمانيا وبلجيكا بواسطة شركة «غاز بروم» الروسية التي تأسّست في العام 1996

ومن الواضح أن روسيا قد قرأت الخارطة وتعلّمت الدرس جيداً.. فسقوط الاتحاد السوفياتي كان بسبب غياب موارد الطاقة العالمية عن سيطرته.. لتضخ إلى البنى الصناعية المال والطاقة.. وبالتالي البقاء. ولذلك تعلمت أن لغة الطاقة الآتية إلى القرن الحادي والعشرين على الأقل هي لغة الغاز.

خطوات تنفيذ سيناريو الشرق الأوسط الجديد مشروع نابوكو[53]

بدأت فكرة المشروع مع بداية هذا القرن، واتخذت أول خطوة عملية فيه في بداية عام 2002 حينما وقع بروتوكول للاشتراك في المشروع بين كونسورتيوم من شركة (أو إم في جاز) النمساوية و(بوتاش) التركية و(إم أو إل) المجرية و(ترانس جاز) الرومانية و(بلغار جاز) البلغارية. والهدف الرئيسي من هذا المشروع هو ربط احتياطيات الغاز في آسيا الوسطى عبر بحر قزوين بأوروبا من خلال خط أنابيب يعبر بحر قزوين إلى أذربيجان ثم إلى النمسا، دون المرور بأراضي دولة روسيا، وبحسب دراسات المشروع في بداياته فهو يعتمد أساساً على تصدير الغاز الطبيعي من المزود تركمانستان، التي تملك رابع أكبر احتياطي غاز في العالم من خلال تمرير خط أنابيب عبر بحر قزوين يحمل غاز تركمانستان إلى أذربيجان دون المرور على الأراضي الروسية، ومنها إلى تركيا حيث سيمر ثلثا خط الأنابيب عبر الأراضي التركية ومن ثم يعبر بلغاريا ورومانيا ثم المجر إلى منتهاه في محطة تجميع ضخمة في مدينة «بوجمارتن اندرمارش»، في النمسا، بطول 2050 ميلاً أو 3300 كيلو متر.

إذن فمشروع «نابوكو» هو مشروع لتحويل تجارة الغاز الطبيعي من آسيا الوسطى إلى أوروبا

دون المرور بروسيا وبتأييد من المفوضية الأوروبية ودعمها المادي، وذلك بمنحة مالية لتغطية نحو 50 في المئة من تكلفة المشروع، غير أن مشروع نابوكو الذي تم التفكير فيه عام 2002 لم ير النور وتمّ تعطيله وإرجاؤه فترة امتدت إلى تاريخ توقيعه في عام 2009م وذلك لأسباب عديدة، تأتي في مقدمتها لعبة المصالح الكبيرة بين الجغرافية والسياسة والطاقة.

ولكن هيمنة روسيا السياسية والعسكرية والتجارية ووقوفها عائقاً لتلك الاتجاهات الأوروبية الأميركية من أجل تنفيذ فكرة هذا المشروع الذي كان معتمداً في بدايته على المزوّدين الأساسيين بضخ الغاز في خط الأنابيب من حقول الغاز في الدول من القوقاز ووسط آسيا، والالتفات حول روسيا و»تحريرهم» من مخالب الدب الروسي، وكذلك إلى الحدّ من اعتماد أوروبا على الغاز الروسي، أو سيطرتها عليه، وهو بالطبع مما أثار حفيظة الدب الروسي، الذي يتربع على أكبر احتياطي للغاز في العالم ويسيطر على جميع خطوط الأنابيب العاملة التي تنقل الغاز الطبيعي إلى أوروبا.

ولأن موسكو ليست بالفريسة السهلة، ومن الصعب عزلها وتحييدها بناء على الرغبات الأميركية الجامحة، فقد أظهرت روسيا ممانعتها قولاً وفعلاً لذلك المشروع الذي اعتبرته يستهدف كيانها الإقليمي ومعادياً لها، وتبنت خطة استراتيجية دفاعية بثلاثة محاور وذات أبعاد ودوائر حلزونية تتقارب في المركز وتتباعد في زمنها التنفيذي، وذلك لمجابهة مشروع نابوكو وتفريغه من جدواه من النواحي القانونية والاقتصادية والسياسية. وقد جاء المحور الأول منها عبر إثارة نزاع الملكية القانونية حول بحر قزوين، فقد لجأت روسيا في تنفيذ استراتيجيتها إلى إثارة جدل قانوني حول مسار الأنبوب، وإمداداته وذلك من أجل الإيقاف الفوري أو على الأقل تعطيل مشروع خط نابوكو.

هذا الخلاف الذي أثارته روسيا هو ماهية الصفة القانونية للمسطح المائي لبحر قزوين في ظل القانون الدولي، وهل هو بحر أم بحيرة؟!!

ولإيضاح ذلك المبدأ، فإن القانون الدولي بشكل عام يفرق بين الصفة القانونية للمسطح المائي في ما لو كان بحراً فإن القانون الدولي يحدد حقوق معينه للدول المطلّة عليه، وتختلف هذه الحقوق إذا كانت صفة المسطح المائي حوضاً أي «بحيرة»، فإنه يترتب عليه حقوق تختلف للدول المطلة عليه: فالبحر تحت القانون الدولي يتمّ تقاسم مياهه وثرواته حسب طول شواطئ الدول المحيطة به، وجرفها القاري... إلخ، فيما إذا كان المسطح المائي حوضاً أو بحيرة فإن الوضع القانوني للملكية يختلف حيث يتم تقاسم مياهه وثرواته بالتساوي بين الدول المحيطة به.

وتأسيساً على ذلك المبدأ، أثارت روسيا موضوع الصفة القانونية لبحر قزوين وتبنّت تعريف حوض قزوين على أنه بحيرة متجدّدة بمياه أنهار الفولجا وبناء على ذلك، فالقانون الدولي يعطيها الحق بتقاسم مياهه وثرواته بالتساوي بين الدول المحيطة به، كما ينص القانون الدولي على ذلك. هذا المحور من الاستراتيجية الروسية جعل من المستحيل، ليس فقط إنشاء خط أنابيب الغاز عبر حوض قزوين، بل حتى تطوير تركمانستان أو أذربيجان لأية حقول غاز على سواحل حوض قزوين في ظل هذا التعريف، إلى أن يتم الاعتراف به كبحر، وبالتالي فلا حق لأي دولة أخرى مطلة على البحر في حقول النفط والغاز على شواطئ الدول الأخرى المطلة على المسطح المائي.

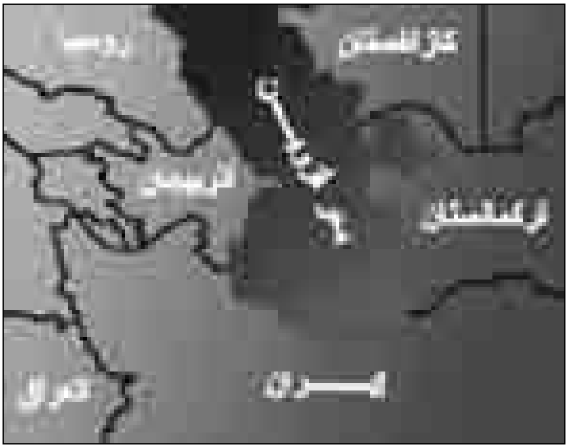

وجاء المحور الثاني في الاستراتيجية الدفاعية الروسية عبر بناء قوة روسيا الاحتكارية في شراء كامل الغاز المنتج في أواسط آسيا وبالتالي احتكار بيعه عن طريقها وعبر أنابيبها العابرة للقارات. لذا فقد دخلت روسيا في عقود شراء غاز طويلة المدى من كل حكومات الدول المفترض منها ضخ الغاز في خط أنابيب نابوكو، كتركمانستان التي تنتج حالياً نحو 80 مليار متر مكعب سنوياً، وقامت روسيا بشراء أكثر من 50 مليار متر مكعب في عقود طويلة الأجل.

كما دخلت بعقود شراء طويلة الأجل مع أوزبكستان التي لديها احتياطي قدره 1.8 مليارات متر مكعب من الغاز، حيث قامت روسيا بشراء كامل إنتاجها من الغاز في عقد طويل الأجل ينتهي عام 2018، وفي ضوء ذلك انسحبت تلك الدول من أي تعهّد لإمداد «نابوكو»، وأعلنت تركمانستان من جانبها أخيراً أنه حتى ولو بعد تطوير حقولها الغازية ووجود فائض

في الغاز المنتج عن تلبية تعهداتها لروسيا والصين فلن تبيع الغاز لخط أنابيب نابوكو، كما أن أذربيجان التي يعوّل عليها كثيراً بعد انسحاب تركمانستان من إمداد النسبة الأكبر من الغاز المنقول إلى أوروبا، دخلت هي الأخرى في تعهّدات مع روسيا بعقود بيع طويلة المدى، حيث وقعت روسيا معها اتفاقاً لشراء حصة كبيرة من غازها، ولكنها أعلنت في الوقت نفسه أنها ستبيع الغاز لـ «نابوكو» إذا وُجِد فائض لديها.

ومن هنا فقد نجحت روسيا في تفريغ المشروع من جدواه ونسفته من جذوره تماماً.

وبالإضافة لكل ما سبق، قامت روسيا بتكثيف الجهود لبناء خطوط غاز جديدة، فأعلنت شركة غاز بروم بأنها ستستثمر في مشاريع غاز من أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا وحتى واشنطن ستجد نفسها ذات يوم تشتري الغاز من روسيا، وأعلنت روسيا عن "أربعة خطوط غاز عملاقة". [54]

الهجوم الأميركي المضاد

تلك الخطوات الاستباقية الإجهاضية من روسيا قابلتها أميركا وحلفاؤها بخطة مضادة تعتمد على إيجاد خطوات عملية بديلة، فقد ألقت الولايات المتحدة بثقلها الدبلوماسي كاملاً لإنعاش مشروع «نابوكو» وإعطائه دفعة معنوية قوية. وبالفعل تم التوقيع على مشروع «نابوكو» أمام ذهول واندهاش العالم، خصوصاً روسيا التي فوجئت بتوقيع اتفاقية نابوكو الغريبة نوعاً ما، ليس فقط لأن نجاح نابوكو التجاري ضعيف ويعتمد على الدعم الحكومي للاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، بل بالحالة الكوميدية المضحكة التي أفرزها نجاح الاستراتيجية الروسية التي تمثلت في عدم وجود مزوّد للغاز من جهة، ومن جهة أخرى يتم التوقيع على بناء أنابيب الغاز..

فوجه الغرابة في مشروع خط أنابيب «نابوكو» – كما بدا وقتها- هو عكسه أو قلبه للموازين والقواعد الاقتصادية الكلية، حيث إنه من المفترض أن تجد المادة المراد نقلها أولاً ثم تبدأ في إنشاء الوسيلة لنقلها، أي أنه يجب أن تجد مصدر الغاز أولاً، ثم تنشئ خط أنابيب لنقله؛ وهذا ما لم يحدث في هذه الحالة، ولكن على الرغم من ذلك إلا أنه تمٍ التوقيع على الاتفاق على مشروع «نابوكو» عام 2009م الذي يقضي ببناء خط الأنابيب أولا، ثم البحث عن الغاز لاحقاً...!!

وهنا ظهرت مشكلة أخرى، فكيف سيسمح نظام الأسد السوري الموالي للروس والمعادي

للغرب بمرور هذا الأنبوب في أراضيه، وهو المشروع الذي سيضرّ ضرراً بالغاً بأهم حليف استراتيجي له وهو روسيا؟

هنا كان لا بد من دخول الجرافات الأميركية إلى المنطقة كي تمهّد الأرض وتزيل أية عقبات قد تعوق مرور هذا الأنبوب الحيوي الضخم، وهذه العقبات كانت تتمثل أولاً في النظام السوري ثم القضية الفلسطينية مروراً بالموقف الملتهب في لبنان.. فلا يمكن لأنبوب يحمل غازاً حارقاً أن يمر وسط صخور صلدة أو في وسط ملتهب بالأزمات.

وكانت هذه الجرافات الأميركية في حقيقتها هي مشروع الشرق الأوسط الجديد لإعادة فك وتركيب الأنظمة الموجودة في تلك المنطقة بما يسمح بعبور هذا الخط فيها بأمان، وبما يحقق المصلحة الأميركية والأوروبية المرجوة منه، فالمعادلة قد أصبحت صفرية، وهو ما يعني أنه إما سقوط سوريا أو سقوط المخطط الأميركي، فتم إعطاء الإذن لانطلاق شرارة ما يُعرف بالربيع العربي في بلدان تلك المنطقة بإثارة الفتن والقلاقل في سوريا. فكل مَن يقع في طريق مرور هذا الأنبوب أو بجواره، ولم يلتحق بالركب الأميركي، يُعَدّ من البلدان المارقة، والأقطار المتمردة، فجاء الدور اليوم على سوريا الواقعة في بوابة البلدان المحاذية لقناطر «نابوكو» وهذا يفسر إصرار الإدارة الأميركية على إزاحة النظام السوري بالطرق المتاحة وغير المتاحة..

الشرق الأوسط الجديد

تتساقط قطع الدومينو العربي، الواحدة تلو الأخرى، كما تنبأ «برنارد لويس». وقد أكد وليام كريستول (من المحافظين الجدد) أن هذه فرصة للولايات المتحدة أن تأخذ زمام المبادرة مرة أخرى في المنطقة.

وفي مقال بعنوان «الولايات المتحدة متواطئة مع إسرائيل في تحطيم لبنان» يقول المعلق الأميركي «بول كريغ روبرتس»:

«إن ما نشاهده في الشرق الأوسط هو تحقق خطة المحافظين الجدد في تحطيم أي أثر للاستقلال العربي الإسلامي، والقضاء على أي معارضة للأجندة الإسرائيلية»[55].

وهذا التصور للشرق الأوسط ينطلق من تصور أن التاريخ متوقف تماماً في هذه المنطقة، وأن الشعب العربي سيظل مجرد أداة بيد معظم حكامه الذين ينصاعون انصياعاً أعمى للولايات المتحدة.

وأن هذا الشرق العربي مجرد مساحة أو منطقة بلا تاريخ ولا تراث مشترك تقطنها جماعات دينية وإثنية لا يربطها رابط وليس لها ذاكرة تاريخية ولا إحساس بالكرامة، فالعربي مخلوق مادي اقتصادي تحركه الدوافع المادية الاقتصادية.

«التصور للشرق الأوسط ينطلق من تصور أن التاريخ متوقف تماماً في هذه المنطقة، وأن الشعب العربي سيظل مجرد أداة بيد معظم حكامه الذين ينصاعون انصياعا أعمى للولايات المتحدة»

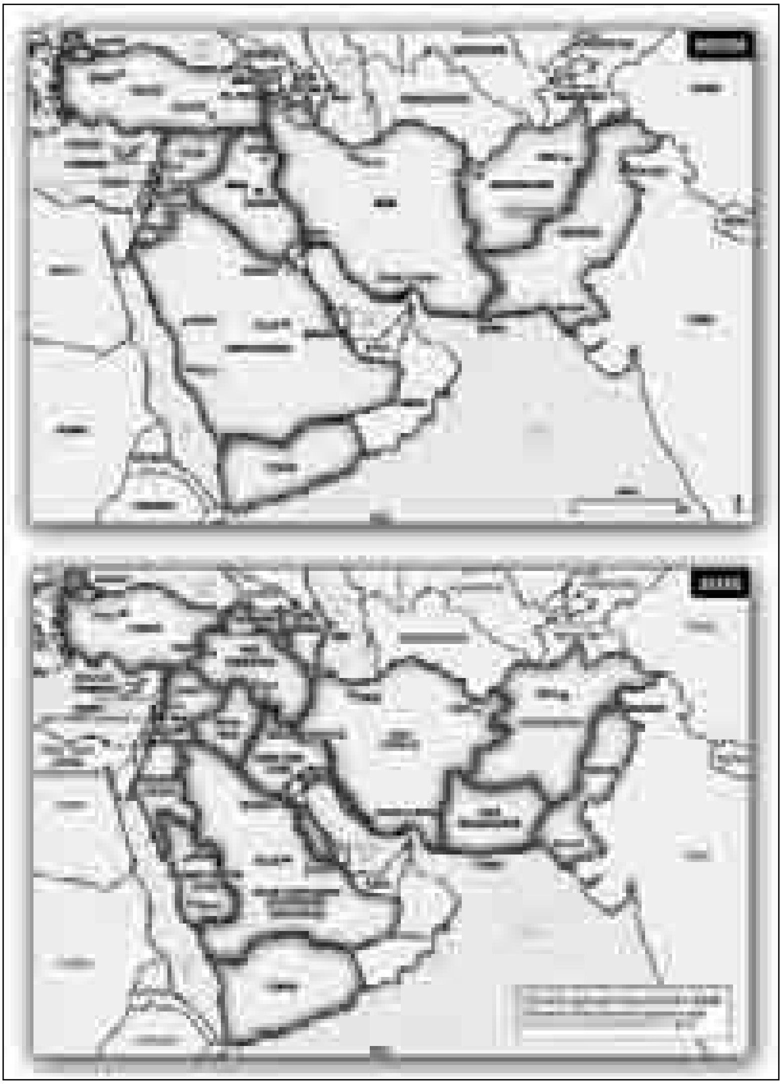

خرائط توضح شكل الشرق الأوسط قبل وبعد وضع مخططات بيترز "حدود الدم" لإعادة تقسيم الشرق الأوسط

هذا هو الإطار الذي يتحرك داخله «رالف بيترز» ففي الـ14 سنة التالية لمخطط برنارد لويس (1992 – 2006)، تنامى بشكل متواز تقريباً اليمين الإسلامي الجهادي متمثلاً في تنظيم القاعدة في مقابل اليمين المسيحي – اليهودي متمثلاً في المحافظين الجدد بالحزب الجمهوري الأميركي الذين وصلوا للحكم من خلال بوش الابن، والصهاينة التقليديين من أمثال شارون ونتنياهو الذين هيمن حزب الليكود من خلالهم على السلطة في إسرائيل.

المختلف في رؤية بيترز والمسمّاة بحدود الدم والتي طرحها عام 2006 أنه لم يقصر تصوراته على هيمنة إسرائيل والمطامع الاستعمارية النفطية والتقسيمات العرقية الطائفية وحسب، لكن الأهم عنده كان تفتيت السعودية وإيران وباكستان باعتبارها منبع الشرور (نتيجة طبيعة صراع المرحلة بين اليمين الإسلامي واليمين المسيحي اليهودي.

ينطلق بيترز مما يسمّيه الظلم الفادح الذي لحق بالأقليات حين تم تقسيم الشرق الأوسط أوائل القرن العشرين (يقصد اتفاقية سايكس بيكو)، مشيراً إلى هذه الأقليات «بأنها الجماعات أو الشعوب التي خُدعت حين تمّ التقسيم الأول». ويذكر أهمها: الأكراد، والشيعة العرب.

كما يشير إلى مسيحيي الشرق الأوسط، والبهائيين والإسماعيليين والنقشبنديين. ويرى بيترز أن ثمة كراهية شديدة بين الجماعات الدينية والإثنية بالمنطقة تجاه بعضها البعض، وأنه لذلك يجب أن يُعاد تقسيم الشرق الأوسط انطلاقا من تركيبته السكانية غير المتجانسة القائمة على الأديان والمذاهب والقوميات والأقليات، حتى يعود السلام إليه.

ثم يقدّم بيترز خريطته للشرق الأوسط الجديد فيتحدث عن تقسيم العراق إلى ثلاثة أجزاء، دولة كردية بالشمال، ودولة شيعية بالجنوب، ودولة سُنية بالوسط ستختار الانضمام إلى سوريا مع مرور الزمن.

أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية فيقترح أن يقتطع منها كل من مكة والمدينة المنورة حتى تنشأ فيها «دولة إسلامية مقدسة» على رأسها مجلس يترأسه بالتناوب أحد ممثلي الحركات والمدارس الإسلامية الرئيسية، أي أن يكون المجلس نوعاً من «فاتيكان إسلامي أعلى».

كما يقترح إضافة الأرض المقتطعة من شمال السعودية إلى الأردن، وأن تقتطع أرض من جنوبي البلاد كي تُضاف إلى اليمن، وأما شرقي البلاد فلن تسلم أيضاً من المقص، إذ تقتطع منها حقول النفط لمصلحة دولة شيعية عربية.

أما المملكة الأردنية الهاشمية فستحتفظ بأراضيها وتضاف إليها أرض من شمالي السعودية، كما سيرتبط «مستقبل الضفة الغربية بها».

أما الإمارات فيطلق السيد بيترز عليها اسم «الدولة المدينية» (تشبهاً بالمدن اليونانية قديماً) وقد يُدمج بعضها مع الدولة العربية الشيعية التي تلتف حول الخليج الفارسي، وستصبح قوة توازُن مقابل الدولة الفارسية لا حليفاً لها.

أما دبي، من وجهة نظره فسوف تبقى مسرحاً للأغنياء الفاسقين (كما ورد بالنص في المقالة) وأما عُمان والكويت، فتحتفظ كل منهما بأراضيها. ويفترض أن إيران، وفقاً لهذا المشروع الجهنمي، ستفقد الكثير من أراضيها لمصلحة أذربيجان الموحدة، وكردستان الحرة، والدولة الشيعية العربية، وبلوشستان الحرة، لكنها تكسب أراضي من أفغانستان حول هيرات. ويطرح رالف بيترز تصوره بأن إيران سوف تصبح في النهاية بلداً إثنياً فارسياً من جديد.

ينتهي السيد بيترز إلى أن تعديل الحدود بناء على رغبات الناس قد يكون مستحيلاً، لكنه من الممكن أن تنشأ حدود جديدة مع الزمن. فتعديل حدود الشرق الأوسط الأكبر، بناء على روابط الدم الطبيعية والعقيدة الدينية، ضرورة ملحّة لحقن الدماء!! ومن هنا مسؤولية الولايات المتحدة وحلفائها!

وقد أعطى هذا دفعة للأوهام الإسرائيلية مرة أخرى. انظر علي سبيل المثال إلى موقف «جيورا آيلاند» رئيس شعبة العمليات بالجيش الإسرائيلي سابقاً، والرئيس السابق لمجلس الأمن الوطني المسؤول عن وضع الاستراتيجية الأمنية للدولة الصهيونية.

فقد طرح خطته لإعادة تنظيم الشرق الأوسط (56) فاقترح ضم 12 % من الضفة الغربية (600 كلم^2) إلى الدولة الصهيونية و600 كلم2 أخرى من مصر تُضم إلى قطاع غزة ويوطّن فيها مليون نسمة (لإقامة ميناء بحري ومطار دولي) على أن تُعطى مصر 150 كلم^2 في النقب تعويضاً لها».

وقد قام «جاي بخور»[57] بتقديم خطته لإعادة صياغة الشرق الأوسط. والخطة لا تعدو أن تكون شكلاً من أشكال الأحلام المتضخّمة، ولكنها مع هذا تعطينا فكرة عما يدور في خلد الولايات المتحدة وإسرائيل فيقول:

«نجح شارون بالآونة الأخيرة في تحقيق التطابق الكامل بين السياسة الإسرائيلية والسياسة الإمبراطورية الأميركية في إعلان حرب لا نهاية لها ضد الإرهاب، كما نجح في الجمع بين

سياسة التوسع الاستيطاني والفصل العنصري، وقد أعطى هذا دفعة للأوهام الإسرائيلية في المنطقة».

فالمقال يزعم أن هذه الحرب تدافع عن «جوهر» الغرب، دون أن يذكر لنا ما هو هذا الجوهر؟

يبدأ المقال بالقول إنه يجب عدم العودة للشرق الأوسط القديم الذي يصفه الكاتب بأنه «توجد فيه دولة ذات نظام مجنون تتسلح بسلاح ذري وتسلّح رفيقاتها (وهذا بطبيعة الحال لا يعني إسرائيل) والعراق غارق في حرب أهلية، ومنظمات راديكالية تسيطر على حكومات ونظم حكم، وهذه بدورها تمنح جماعات مخربين مسلحة دعماً قوياً وعلاقة متسامحة.

ثم يستأنف حديثه قائلاً:

«ثمة حاجة إلى تغيير جوهري، فلم تنجح هذه الدول في منح مواطنيها حياة ثقافية كاملة، ومعظم شعوبها فقيرة، وهي دول تتسم كلها بالطغيان ولا تنطق كلمة الديمقراطية ولو في دولة واحدة، وإذا ما تمت محاولة ديمقراطية في بعضها، فإن النتيجة تكون تولي نظم إرهابية إسلامية أو فوضى».

ولعلاج هذا الوضع يقترح جاي بخور «أن يُقسم العراق إلى ثلاث دول، بحسب مقياس طائفي: سُنية في الوسط والغرب، وشيعية في الجنوب، وكردية في الشمال، كما يجب إنهاء نظام سوريا وإعادة الأكثرية السُنية إلى الحكم.

وعلي الأردن أن يتحمل المسؤولية عن الضفة الغربية، وبهذا ينشأ كيان فلسطيني واحد فينتشر الفلسطينيون إلى الشرق (بعيداً عن إسرائيل بطبيعة الحال) لا إلى الغرب في اتجاه الدولة الصهيونية والمطالبة بحق العودة.

أما مصر فستصبح مسؤولة عن قطاع غزة، وهو شيء — حسب تصوره – أصبح يحدث في الواقع أكثر فأكثر. وتجب إعاقة إيران بواسطة نظام عقوبات شامل، ويجب أن يقوم في لبنان نظام دولي جنوب الدولة وشرقها، لمنع عودة الأصولية الشيعية أو غيرها.

وماذا عن شعوب المنطقة؟ هل هي مستعدّة لتقسيم جديد؟ يجيب باخور بأن الشعوب سترحب أيما ترحيب بهذا، بينما سيعارضه الحكام وحدهم.

وسيفرح سكان الضفة الغربية أيضاً بإنشاء دولة فلسطينية كبيرة. وفيما يتعلق بمصر، من المعقول أنها تدرك اليوم أن غزة الفائرة تعني سيناء الخطرة، وتهديد السياحة والاستقرار السياسي والاجتماعي كله.

ثم يختم جاي بخور حديثه بالقول إنه إزاء تفشي الراديكالية الخطرة للتدين المتشدد الإسلامي، يجب على العالم الغربي أن يستيقظ وأن يفهم أن الحديث ليس عن الشرق الأوسط أو إسرائيل فقط، بل عن جوهر وجوده.

في العام التالي لنشر (حدود الدم)، بدأ جيفري جولدبرج[58]، وهو من المنتمين لجناح رالف بيترز نفسه داخل أروقة السياسة الأميركية، وناشط له ثقله في اللوبي اليهودي هناك في كتابة سلسلة مقالات ترسم خريطة جديدة للشرق الأوسط، على صفحات مجلة (أتلانتيك) الشهيرة عام 2008. حدث هذا بالتزامن مع إقرار مجلس الشيوخ الأميركي خطة غير ملزمة لتقسيم العراق، مما يجزم بأنها حملة منظمة.

ولكن ماذا غَيَّر جولدبرج في المخططات؟

- لأول مرة دولة (السودان الجديدة) في جنوب السودان (تأسست رسمياً بعدها بـ4 سنوات).
- لأول مرة دولة (سيناء) المستقلة، (بدأت أعمال العنف المسلح في سيناء سنة 2004، وفي سنة 2013 أعلنت إسرائيل عن وجود وحدة لمكافحة الإرهاب تابعة للجيش الإسرائيلي تعمل داخل سيناء، ومؤخراً ظهرت دراسات عن مراكز بحثية استراتيجية إسرائيلية تمهّد لفشل الجيش المصري في السيطرة على سيناء وأهمية تواجد عسكري دولي لحسم المعارك هناك.

امتدّت الخريطة هذه المرة لعمق أفريقيا بتقسيم الصومال.

- اعترف جلدبرج بقوة حزب الله ومركزيته في جنوب لبنان، فتصور له دولة شيعية مستقلة.
- اصطناع دولة درزية في شمال الأردن وجنوب سوريا.

وفي الأعوام الأخيرة (2013 - 2014) تمّ عرض أطروحات أخرى لتقسيم المنطقة عبر مراكز الدراسات الاستراتيجية ومنابر الصحافة العالمية، لا ترقى هذه الأطروحات لتوصيفها بـ(المخططات) لأنها أولاً أقرب للتوقعات، وثانياً، أنها قد جاءت في كتابات بعض المحللين، ولم تأتِ من دائرة صنع القرار، ثم أنها ثالثاً تخلو من هدف استراتيجي جامع يربط بينها. تتفق معظم هذه الأطروحات على أن: مصر وتركيا والسعودية ستستعصي على التقسيم بمعناه المفهوم، ولكن يُقتطع منها: (سيناء من مصر - كردستان من تركيا - الحجاز وجنوب غرب وشرق السعودية)، يُخطط لهذه الدول الثلاث أن تنتهي إلى مصير الدول الفاشلة، أم الدول العربية التي سيتم تقسيمها إن عاجلاً أو آجلاً، فهي: العراق - سوريا - اليمن - ليبيا - لبنان.

وبعد دراسة وتحليل هذه المخططات التي تهدف إلى إعادة تقسيم الشرق الأوسط، ولكي نجيب على تساؤل دراستنا فلسطين إلى اين لا بد لنا من أن نعرف أولاً إسرائيل إلى أين؟ وسوف نستند في الإجابة على هذا السؤال إلى وجهات النظر الإسرائيلية من خبراء واستراتيجيين في الطريق التي ستذهب إليها إسرائيل بعد هذه المخططات والمؤامرات الهادفة لتقسيم الشرق والتعنت الصارخ للقرارات الإسرائيلية كافة والتي يتخذها على الأقل رئيس الوزارء بنيامين نتياهو ضد الشعب الفلسطيني.

إسرائيل إلى أين؟

تناول الخبير الأمني الإسرائيلي المعروف، «يوسي ميلمان»، العلاقات الإسرائيلية الاستراتيجية خلال عام 2014 وأثرها على عام 2015، حيث انتقد في مقاله «أقوياء في التكتيك.. ضعفاء في الاستراتيجية»،[59] ضعف سياسة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، وأثرها على العلاقات الاستراتيجية لإسرائيل مع حلفائها.

وقارن الكاتب في مقاله الوضع العسكري الإسرائيلي في المنطقة وحال الدول العربية التي وصلت إليها، حيث قال إن التفوق العسكري لإسرائيل هذا العام «ينبع من تفكك الدول في العالم العربي (ليبيا، اليمن، سوريا، العراق)».

وقال ميلمان إن «وضعنا العسكري تحسّن في السنة الأخيرة، وزاد تفوقنا النوعي على أعدائنا، فالجبهة الشرقية، بجيشيها الكبيرين في الماضي، السوري والعراقي، تبدّدت تماماً، وهي تلك الجبهة التي عدّتها إسرائيل ذات مرة تهديداً حقيقياً».

وعن علاقة إسرائيل بأميركا وأوروبا قال «ميلمان» إن «العلاقات والتعاون الاستخباري والأمني على مستويات العمل بين الدولتين باقٍ، بل في تحسّن. ولكن نهج نتنياهو الاستفزازي للرئيس باراك أوباما وإدارته، وزلات اللّسان والإهانات التي يوجهها من حين إلى آخر وزير الدفاع يعلون تمسّ بالذخر الأهم الذي لإسرائيل: ألا وهي العلاقات الحميمة مع الولايات المتحدة».

كما يرى أن إسرائيل ضعفت في 2014، بسبب التدهور في العلاقات مع الولايات المتحدة، وكنتيجة لذلك، وربما بقوة أكبر، مع الدول الأوروبية، أما هذا التدهور في العلاقات فينبع من:

«أولاً، من عدم استعداد الحكومة للتقدّم في المسيرة السلمية مع السلطة الفلسطينية، ثانياً من توسيع مشروع الاستيطان في الضفة الغربية. مما سيقضي أيضاً على الاحتمال – وإن

كان نظرياً – للوصول إلى تسوية تتشكل في جوهرها من إخلاء المستوطنات والانسحاب من الأراضي مقابل ترتيبات أمنية، وضمان إنهاء النزاع».

أما البروفيسور اليهودي (إسرائيل شاحاك)، وهو كما نعلم جميعاً أستاذ جامعي، ولد في العهد النازي في بولندة، فيقول في هذا الشأن: «إني متأكد أن الصهيونية ستندثر في المستقبل.. فهي تعمل بعكس الآراء المشتركة لمعظم شعوب العالم.. ولأنها – وفي الشرق الأوسط بالذات — ستجلب كارثة على المنطقة، وقبل كل شيء على اليهود أنفسهم، فالاضطهاد والتفرقة اللتين تنتهجهما الصهيونية في إسرائيل — فلسطين المحتلة — أصبحا واضحين ومفهومين لدى أوساط واسعة في العالم، وبسببها ينتهج قسم كبير من الصهاينة طريق عدم الاعتراف بأي من حقوق

الفلسطينيين، أو حتى بالحقوق الإنسانية الخاصة».

وفي ختام دراستنا وبعد مرور مئة عام على مخطط سايكس بيكو الأولى كان لزاماً علينا أن نعود بالتاريخ لأكثر من مئة عام لنفهم ونعرف كيف سيولد الشرق الأوسط الجديد من رحم الشرق الأوسط القديم، لعلنا في هذه المرة نقف في وجه عجلة التاريخ ونمنعها من الدوران إلى الخلف حتى لا يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى. وإذا كانت سايكس – بيكو الأولى في مرحلة الكولونيالية، فإن سايكس – بيكو الثانية هي التعبير النموذجي عن مرحلة ما بعد الكولونيالية، وبغضّ النظر عمّا هو مضمَر، فإن ما هو معلَن، ينبغي أن يؤخذ بالحسبان. اما بالنسبة لفلسطين فسوف استشهد هنا بما ذكره الخبير الأمني الإسرائيلي «يوسي ميلمان»، شُقّت السدود وحواجز الخجل. فالدول الأوروبية، بما فيها الأصدقاء التقليديون لإسرائيل مثل فرنسا، مستعدون لأن يعترفوا الآن بدولة فلسطينية، وهم لا يخشون من أن يتهموا بمواقف لا إسرائيلية أو لاسامية».

ليس هذا فقط بل أبدى «ميلمان» تخوّفه من أن يزداد الأمر تعمقاً «لتصبح إسرائيل في عزلة دولية، ربما لدرجة فرض العقوبات عليها، دون أن تهرع الولايات المتحدة لنجدتها، واستخدام الفيتو».

وسوف استشهد ايضاً بما قاله رأي الخبير الاستراتيجي الأمني الإسرائيلي ناحوم جولدمان، وهو من أبرز إعلام اليهود ورئيس المؤتمر الصهيوني لسنوات طويلة وصاحب كتاب (إسرائيل.. إلى أين؟)، والذي ذكر في كتابه المشار إليه:

«أن دولة إسرائيل سوف تختفي من الوجود إن هي ظلت تمارس الإرهاب اليومي، ولا تعترف بوجود دولة فلسطينية»، معلّلا استنتاجه ذاك بقوله: «إذ إنها ستضيع مستقبلاً في بحر العرب الواسع والهادر»، ثم بيّن أنه بالإمكان تجنب هذه النهاية المأساوية بالنسبة لكيانها الصهيوني بطبيعة الحال، بحالة واحدة، فقال: «عليها أن تعترف بحق الشعب الفلسطيني في الوجود، وأن تنصهر معه في علاقات اقتصادية؛ لأنّ لا أحد يعرف المستقبل، وما إذا ظلت الولايات المتحدة الأميركية تمد إسرائيل بمساعداتها الاقتصادية والعسكرية»!!

(Endnotes)

1 – יוסי אלפר : מדינה בודדה, החיפוש החשאי של ישראל אחרי בעלות ברית באיזור, הוצאת מטר، 2015

يوسي الفر: «دولة معزولة: بحث إسرائيل السري عن حلفاء في المنطقة"، دار نشر مطر، 2015

ويوسي الفر خدم سنوات طويلة في رتب عالية في جهاز الموساد (الاستخبارات الخارجيّة)، والكتاب يتحدث حول حلفاء إسرائيلٍ في فترة الشاه بإيران. يؤكّد المؤلّف وهو يتحدّث عن سياسة دعم الأقلّيّات أو جيران العرب بهدف محاصرة وزعزعة أركان أعداء العدوّ الإسرائيلي، خصوصاً في الحقبة الناصريّة.

2 – الجيوسياسية: (أو الجيوبوليتيك) مصطلح ينطبق على تأثير الجغرافيا على السياسة، فهو علم دراسة تأثير الأرض (برها وبحرها ومرتفعاتها وجوفها وثرواتها وموقعها) على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي. هذا التعبير مشتق من كلمتين، جيو وهي باليونانية تعني الأرض / وكلمة السياسية أكاديمياً، ودراسة الجغرافيا السياسية ينطوي على تحليل الجغرافيا والتاريخ والعلوم الاجتماعية مع سياسة المكان وأنماطه بمقاييس مختلفة (بدءاً من مستوى الدولة على الصعيد الدولي). وقد صاغه لأول مرة العالم السويدي "كجلين" للدلالة على دراسة تأثير الجغرافيا على السياسة، بعد ذلك اتخذ معاني مختلفة.

3 – من مقولات المؤرخ الكبير الراحل الدكتور محمد حسنين هيكل.

4 – دكتور جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، الطبعة الاولى، 1983.

5 – الشرق الأقصى: بدأ هذا المصطلح بالظهور في منتصف القرن الثامن عشر أي منذ عام (1751) عندما حوّلت بريطانيا الهند كمركز لها للعبور إلى بقية البلدان الأخرى. ويشمل هذا المصطلح شرق آسيا ما عدا كوريا واليابان وبعض الأجزاء من الصين ويشمل: الهند والبلدان المنتشرة في المحيط الهادئ ومناطق واسعة تطل على المحيطين الهندي والهادئ.

6 – الشرق الأدنى: يشمل البلدان الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط ومنها تركيا وسوريا وفلسطين ولبنان والأردن ومصر وجزيرة قبرص. ظهر هذا المصطلح في منتصف القرن التاسع عشر (1850) جراء ضعف الإمبراطورية العثمانية وتصاعد التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا على مناطقها.

7 – استخدم ماهان التعبير لأول مرة في مقاله "The Persian Gulf and International Relations" المنشور في سبتمبر 1902 في National Review، الدورية البريطانية.

8 - ^ Koppes، C.R. (1976). "Captain Mahan، General Gordon and the origin of the term "Middle East"". Middle East Studies 12: p. 95–98.

9 – الدولة العثمانية هي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل، بلغت ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاث: أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، غرب آسيا، وشمال أفريقيا.

10 – جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، الطبعة الاولى، 1983، ص. 47.

11 – المصدر السابق، ص. 131.

12 – عبد الوهاب المسيري، «الصهيونية» الموسوعة الفلسطينية – القسم الثاني، الدراسات الخاصة – المجلد السادس، دراسات في القضية الفلسطينية. بيروت، 1995، ص. 232.

13 – خالد عابد، التوسعية الصهيونية إسرائيل الكبرى (الموسوعة الفلسطينية)، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد السادس، دراسات في القضية الفلسطينية، بيروت، 1990. ص. 534

14 – محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل. (الجزء الأول).

15 – شبتاي زفي (1626م– 1676م) مسيح دجال، ولد في أزمير وتأثر بالقبالاه في شبابه وبعد مذابح شميلنسكي (1648 – 1649) وقع تحت تأثير مفهوم ونداء المخلص من السماء بأنه سوف يخلص إسرائيل. وأعلن الغاء الصوم وفي سنة 1654 توجه إلى سالونيكا حيث أعلن أنه النبي المنتظر. وفي سنة 1662 ذهب إلى رودس وطرابلس ومصر وفلسطين، وفي سنة 1666 ذهب إلى القسطنطينية ليعزل السلطان ولكن ألقي القبض عليه وسجن في قلعة جاليبولي. وخشي شبتاي من غضب السلطات الدينية فأعلن إسلامه وصدمت جماهير اليهود من إسلامه لذلك ظل يمارس الطقوس الدينية اليهودية. لمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة كتاب – يقظة العالم اليهودي – لإيلي ليفي أبو عسل – طبعة القاهرة 1934 – ص.ص. 101 – 104.

16 - 6 .James Bicheno، The Restoration of the Jews - The crisis of all

nations،. Publisher London: J.Barfield 1807.

17 - اللورد بالمرستون "1784-1856"، الذي شغل مناصب عدة منها، وزير خارجية بريطانيا، ثم رئيس مجلس وزرائها، حيث قام بتعيين أول قنصل بريطاني في القدس عام 1838وتكليفه بمنح الحماية الرسمية لليهود في فلسطين.

18 - British Documents on the origin of war، 1898-1914، London،H.M.S.O.، Vol. X، Part II، No. 1.

19 -راديكالية: كلمة لاتينية قديمة معناها جذر النبات. ولكن الفلاسفة الكاثوليك في القرون الوسطو استخدموها لتسمية "العصارة الحية"، وفي القرنيين الـ16 و17 استخدمت بمعنى جذور ثم شاعت الكلمة في عِلم الرياضيات والفيزياء والكيمياء، ثم انتقلت إلى السياسة ثم إلى علم الاجتماع وأحياناً الفن والنقد. ومنذ السنوات الأولى للثورة الفرنسية وهي تطلق على الثوار الفرنسيين "الراديكاليين" أي الذين يريدون الوصول بالأمور إلى أقصى أطرافها، ثم شاع المصطلح بعد ذلك على المتطرفين من أي اتجاه.

20 - الهاسكالا: حركة التنوير اليهودي، والنهضة الثقافية التي بلغت أوجها في أوروبا في القرن الـ 18 وطالبت بنشر العلم والثقافة بين سواد الشعب، وإلغاء الحواجز بين بني إسرائيل وسائر الشعوب، وكان من أهم نتائجها إحياء اللغة العبرية كلغة كتابة وتخاطب.

21 - البيلِو: اسم مجموعة من الطلائعيين الذين هاجروا إلى فلسطين عام 1882 واتخذوا لهم شعاراً من سفر آشعيا 2،5 هو: "يا بيت يعقوب هلم فنسلك في طريق الرب". واخذوا منه الحروف الأولى فقط.

22 - جورجي كنعان "دكتور"، سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية، دار النهار للنشر، الطبعة الثانية، 1982، صفحة 103.

23 - لمزيد من التفاصيل عن نشاطات هذه الجمعية، أنظر: يوسف عبد الله صايغ، الاقتصاد الإسرائيلي (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الداسات العربية العالية، 1964)، ص.ص. 21 - 23.

24 - ثيودور هرتسل (1860 - 1904): مؤسس الحركة الصهيونية؛ نظم الشعب اليهودي، وأقام المؤتمر الصهيوني العالمي، أسس المنظمة الصهيونية العالمية، كما أنشأ بنك الاستيطان، حيث تمكنت هذه المؤسسات من أداء مهامها وخلق لدى الدول العظمى تفهماً للموضوع الصهيوني.

25 - معاهدة فرساي: هي المعاهدة التي أسدلت الستار بصورة رسمية على وقائع الحرب العالمية الأولى. وتم التوقيع على المعاهدة بعد مفاوضات استمرت 6 أشهر بعد مؤتمر باريس

للسلام عام 1919. وقّع الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الأولى من جانب اتفاقيات منفصلة مع القوى المركزية الخاسرة في الحرب (الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية وبلغاريا. تم توقيع الاتفاقيات في 28 يونيو 1919. وتم تعديل المعاهدة فيما بعد في 10 يناير 1920 لتتضمّن الاعتراف الألماني بمسؤولية الحرب ويترتب على ألمانيا تعويض الأطراف المتضرّرة مالياً. وسمّيت بمعاهدة فرساي تيمناً بالمكان الجغرافي الذي تمّ فيه توقيع المعاهدة وهو قصر فرساي الفرنسي.

26 – عام 1920 تم توقيع معاهدة سان ريمو التي حددت مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية في المشرق العربي. نتيجة لموقف إنكلترا وفرنسا من مقررات المؤتمر السوري العام المنعقد في 1920م فقد انعقد المجلس الأعلى للحلفاء، الذي يعتبر امتداداً لمؤتمر لندن المنعقد في (فبراير) 1920 في مدينة سان ريمو الإيطالية، في المدة ما بين التاسع عشر والخامس والعشرين من نيسان (أبريل) 1920 للبحث في شروط الحلفاء للصلح مع تركيا طبقاً لمعاهدة سيفر، والمصادقة عليها بعد إعلان سورية استقلالها ومناداتها بالأمير فيصل ملكاً عليها في المؤتمر السوري العام في الثامن من آذار (مارس) 1920. وقد بحث المؤتمر: معاهدة سيفر التي رسمت مستقبل المنطقة العربية التي تضم العراق وسورية بما فيها لبنان والأردن وفلسطين. والتقسيمات والانتدابات حسب مصالح دول الحلفاء، بحيث تقسم سورية الكبرى إلى أربعة أقسام: سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين. وتكون سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين والأردن تحت الانتداب البريطاني بالإضافة إلى العراق. وقد تسبب وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، في اندلاع صدامات واسعة بين اليهود والعرب في مدينة القدس. فكان ملخص نتائج المعاهدة ما يلي:

أ ـ وضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

ب ـ وضع العراق تحت الانتداب الإنكليزي.

ج ـ وضع فلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الإنكليزي مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور.

27 – معاهدة سيفْر هي معاهدة السلام التي تم التوقيع عليها في 10 آب 1920 عقب الحرب العالمية الأولى بين الإمبراطورية العثمانية وقوات الحلفاء. ولكن المعاهدة رُفضت من قبل الحركة الوطنية التركية بزعامة أتاتورك التي شكلت جمهورية تركيا في 29 أكتوبر 1923على أنقاض الإمبراطورية العثمانية. كان رفض أتاتورك لتطبيق بنود المعاهدة نابعا من خسارة لحجم هائل من المناطق التي كانت تابعة للعثمانيين في حالة تطبيق المعاهدة. كانت معاهدة سيفر تنص على:

ـ حصول منطقة الحجاز على الاستقلال.ـ حصول أرمينيا على الاستقلال.ـ حصول

كردستان على الاستقلال حسب البندين 62 و63 و64 من الفقرة الثالثة والسماح لولاية الموصل بالانضمام إلى كردستان استناداً إلى البند 62.

28 – معاهدة لوزان وتعرف أحياناً باسم (معاهدة لوزان الثانية) تم توقيعها في 24 يوليو/تموز 1923 كانت معاهدة سلام وقعت في لوزان، سويسرا تم على اثرها تسوية وضع الأناضول وتراقيا الشرقية (القسم الأوروبي من تركيا حالياً) في الدولة العثمانية وذلك بإبطال معاهدة سيفر التي وقعتها الدولة العثمانية كنتيجة لحرب الاستقلال التركية بين قوات حلفاء الحرب العالمية الأولى والجمعية الوطنية العليا في تركيا (الحركة القومية التركية) بقيادة مصطفى كمال أتاتورك. قادت المعاهدة إلى اعتراف دولي بجمهورية تركيا التي ورثت محل الإمبراطورية العثمانية. ونتيجة للرفض التركي لبعض بنود وخاصة فيما يتعلق بالحدود الغربية والجنوبية الغربية (مع اليونان) والجنوبية الشرقية (مع سوريا)، تم تعديل مسار بعض الأجزاء الحدودية في معاهدة تالية عقدت في لوزان السويسرية عام 1923 وعرفت باسم معاهدة لوزان. أعادت المعاهدة الثانية أراضي لتركيا في القسم الأوروبي (غرب اسطنبول) من الدولة العثمانية وضمت الأقاليم السورية الشمالية إلى تركيا.

29 – توماس إدوارد لورنس (16 أغسطس 1888 – 19 مايو 1935) ضابط بريطاني اشتهر بدوره في مساعدة القوات العربية خلال الثورة العربية عام 1916 ضد الدولة العثمانية عن طريق انخراطه في حياة العرب الثوار، وعرف وقتها بلورنس العرب، وقد صُور عن حياته فيلم شهير حمل اسم لورنس العرب عام 1962. لاحقاً كتب لورنس سيرته الذاتية في كتاب حمل اسم اعمدة الحكمة السبعة، قال عنه ونستون تشرشل: "لن يظهر له مثيل مهما كانت الحاجة ماسة له" لقي مصرعه نتيجة سقوطه من على دراجته النارية في 19 مايو 1935م.

وقد أهدى لورنس كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) إلى "سارة أرنسوهن" الجاسوسة اليهودية التي ألقى الأتراك القبض عليها في الناصرة أثناء الحرب في فلسطين فانتحرت حتى لا تبوح بسرها.

30 - Letter from Samuel to Weizmann، 11 January 1915، quoted in Stein، The Balfour Declaration، p.109، fo. 24; also Samuel، Memoirs، p.144.

31 - The McMahon-Hussein Correspondence: Comments and a Reply Arnold Toynbee and Isaiah Friedman Journal of Contemporary History Vol. 5، No. 4 (1970)، pp. 185-201.

32 - The Balfour Declaration،: Journal of Modern History (Chicago)، June 1930.

33 – الليبرالية: هي الأفكار التحررية المستقلة.

34 – الثورة الفلسطينية الكبرى: بعد فشل كافة الأساليب النضالية للعرب الفلسطينيين لم يكن أمامهم من خيار سوى خوض الكفاح المسلح في الفترة بين 1936 – 1939، محاولين تحقيق مطالبهم الوطنية والتي تلخصت في وقف الهجرة اليهودية، ووقف بيع الأراضي لليهود، وتأسيس حكومة وطنية تمثيلية.

35 – الخطة (داليت) أو "د" للتطهير العرقيّ لفلسطين، التي رمت – من جهة – إلى الاستحواذ على المناطق المُعَدّة لإقامة الدولة اليهوديّة، ومن جهة أخرى رمت إلى تنظيف هذه المناطق من السكان الفلسطينيين، صُودِقَ على الخطّة "داليت" على أعلى مستويات القيادة الصهيونية.

36 – بتاريخ 9/ 4/ 1948، نفذت عصابتا "الاتسل" و"ليحي" مذبحة في بلدة دير ياسين العربية، الواقعة على مشارف القدس. حيث قتل 254 عربياً، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ.

37 – شفيق ناظم الغبرا، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، العدد 123، يناير 1996، صفحة 58.

38- Joseph Badi،: Fundamental Laws of the state of Israel، N.Y. 1961

39 – موشيه شاريت ثاني رئيس وزراء لإسرائيل وخدم من الفترة 1953 إلى 1955 وكانت تلك الفترة تفصل بين فترتي رئاسة ديفيد بن غوريون لرئاسة الوزراء.

40- Israel's Sacred Terrorism، a study based on Moshe Sharetts personal Diary and other documents foreword by Noam Chomsky AAUG 11980

41 – حسين كنعان، "مستقبل العلاقات العربية – الأميركية"، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 2، 2005.

42 - Burns، Lieutenant-General E.L.M. (1962) Between Arab and Israeli. George G. Harrap.،

43 - Price Of Empire، The، by Fulbright، J. William With Seth، Published by Pantheon، N. Y.، 1989.

44 – الرسائل المتبادلة بين ايزنهاور ودايفيد بن غوريون تم نشرها في جريدة دابار الإسرائيلية بتاريخ29/10/1971.

45 - BETWEEN TWO AGES America's Role in the Technetronic Era

Zbigniew Brzezinski THE VIKING PRESS / NEW YORK 1970.

46 – وزارة الإعلام – الهيئة العامة للاستعلامات – نظرات على انتصارات العسكرية الوطنية المصرية.

47 – الهيئة العامة للاستعلامات.

48 - The Zionist Plan for the Middle East، Translated and edited by Israel Shahak، Publisher Belmont، MA: Association of Arab-American University Graduates، Year 1982.

49 – وهي وثيقة منشورة في شباط/ فبراير 1982م على الصفحتين 50 و51 من مجلة "كيفونيم" التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية في القدس المحتلة.

نشرت من قبل رابطة العربية الأميركية جامعة بلمونت الخريجين شركة، بولاية ماساتشوستس، 1982 رقم الوثيقة الخاصة 1 (ISBN 0–937694–56–8)

50 –د. غازي حسين، النظام الإقليمي والسوق الشرق أوسطية، دمشق 1994.

51 – ماجد شدود، "النظام الإقليمي الشرق أوسطي"، (دمشق: دار اليازجي، الطبعة الأولى 1996).

52 – اتفاق غزة أريحا – نادية رفعت – أحمد بهاء الدين شعبان – دار الطباعة المتميزة القاهرة 1994 ص. 10.

53 – الاسم «نابوكو» مشتق من أوبرا (نابوكو)، التي تتمحور حكايتها حول الصراع الأزلي على مدينة أورشليم (القدس). وتدعو للتمسك بالديانة اليهودية، والتضحية من أجلها، والقصة برمتها مستوحاة من العهد القديم (كتاب النبي دانيال)، الذي يعكس صورة التاريخ اليهودي إبان حكم الملك (نابوكود الثاني)، ملك بابل العظيمة (العراق) من عام 605 إلى عام 562 قبل الميلاد. و(نابوكو) صيغة تصغير و(تحقير) باللغة العبرية للملك البابلي (نابوخذ نصر)، ويبدو أن الأطراف التي خططت لهذا المشروع، قد تعمّدت استعمال اسم الملك البابلي لدوره في إنهاء مملكة يهوذا وفي ما عرف بالسبي البابلي بعد تصغيره.

54 – 1– السيل الشمالي (نورث ستريم) يوصل الغاز من شمال روسيا إلى ألمانيا عبر البحر دون المرور ببيلاروسيا.

2 – السيل الجنوبي (ساوث ستريم) عبر البحر الأسود إلى بلغاريا ومنها يتوزع خط عبر رومانيا هنغاريا النمسا، وجنوبا عبر اليونان إيطاليا، وقد تم إنجاز معظم الاتفاقيات لمد هذا الخط.

3 – مد خط من نيجيريا إلى النيجر فالجزائر لتسييل الغاز ثم نقله إلى أوروبا ولاحقاً مد إنبوب إلى آوروبا.

4 – قامت أيضا غاز بروم بالاستحواذ على نصف حصة شركة إيني الإيطالية في ليبيا، وبدأت بالاستثمار في السودان.

55 - Articles ،US Complicit in Destruction of Lebanon، Paul Craig Roberts، July 24، 2006 http://www.antiwar.com/roberts/?articleid=9392

56 – في حديث له مع آري شفيط من صحيفة هآرتس.

57 – في يديعوت أحرونوت يوم 27/ 7/ 2006.

58 – جيفري جولدبرج إسرائيلي أميركي خدم في جيش الدفاع الإسرائيلي كحارس سجن أثناء الانتفاضة الأولى وأحد أبرز شخصيات اللوبي اليهودي في أميركا، من أنصار غزو العراق، كتب في مجلة أتلانتيك سنة 2007 عن "انهيار خريطة الشرق الأوسط الحالية". نشر خريطة جديدة بتقسيم دول المنطقة تشمل انفصال سيناء كدولة مستقلة.

59 – المقالة منشورة بتاريخ 2 يناير 2015 في جريدة معاريف الإسرائيلية.